مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

المجلد ٢٤ الجزء (٨) شعبان ١٣٧٢

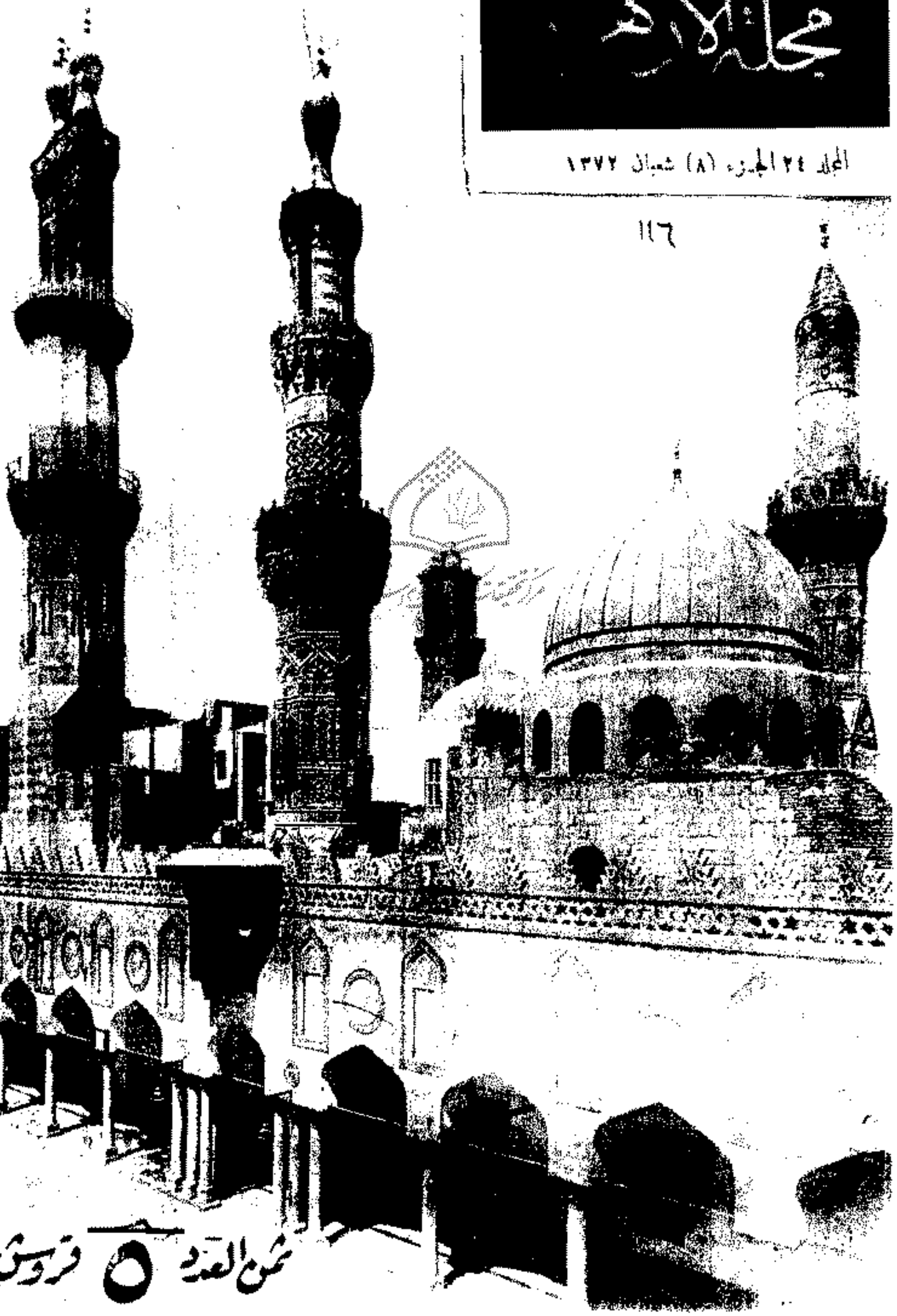

ثمن العدد ٥ قروش

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥ ثمن الجزء

الجزء الثامن - في غرة شعبان ١٣٧٢ - ١٥ ابريل ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمانة الثانية

هي هذا التراث العلمي العظيم الجسيم الذي ملأ خزائن كتب الأمم من كنوز شريعتنا، وجهود أعلامنا وأئمتنا وعلمائنا وحكمائنا وخطبائنا في أربعة عشر قرناً.

هي هذا النهب المقسَّم بين أيدي الدهر، وأهواء الملل، وحسد الأقوياء، وشهوات العلماء والجهلاء، وآفات الأرض والسماء.

ومن قبل هذا التراث الإسلامي الأعظم، كانت ألسنة أسلافنا وعقولهم مؤتمنة من الله على هذه اللغة العريقة في القدم، البالغة في أوديتها وجبالها أقصى غايات الكمال والجمال، حتى اضطر عدو العروبة والإسلام العلامة الفرنسي الكبير ارنست رينان لأن يقف - في كتابه تاريخ اللغات السامية - أمام عظمة العربية وجلال روعتها، وخصب مادتها، ودقة الأحاسيس التي تعرب عنها بكل حرف من حروفها، وبكل صيغة من صيغها، وبكل لحن موسيقي ساحر من ألحان نبراتها وجمال منطقها، وبما في ظلال هذه الحروف والصيغ والألحان من باهر الدلائل على رجاحة أحلام قدماء الناطقين بها، وسعة مداركهم،

مكتبتنا العربية

وبعد أغوار إنسانيتهم ، فأنساه ذلك كله ما انطوت عليه نفسه من إحنة للعروبة والإسلام ، فلم يلبث أن رأى صوته يهتف بكلمته الخالدة يوم قال :

« إن هذه اللغة قد بلغت حد الكمال فى قلب الصحراء عند أمة من الرحل ، ففاقت اللغات بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . وكانت مجهولة من الأمم ، لكنها من يوم علمت ظهرت للناس فى حلل الكمال ، ولم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة كيانها ، خالصة من كل شائبة » .

إن أمة ائتمنها الله على هذه اللغة المحسودة ، وعلى هذه الشريعة الحكيمة التى هى رجاء الإنسانية فى مبادئها المثالية العليا لو قيض لها رجال يتقنون تنظيمها ويحسنون عرضها ويتعاملون بأحكامها وأخلاقها حتى يراها الناس بأبصارهم لا بأسماعهم ، ثم ائتمنها الله على جهود قادة الفكر وأئمة العلم فى الدنيا منذ كان الفكر معطلا من نشاطه إلا فى أوطاننا ، ومنذ كان العلم غريباً عن الناس إلا فى معاهدنا ومساجدنا وحلقات دروسنا ...

هذه الأمة التى ائتمنها الله على تراث للعقول والفهوم والعلوم لا نظير له فى ماضى أمة أخرى من الأمم ، ما أدرى بماذا يحكم عليها قضاء الله العادل جزاء إعراضها عن هذه الثروة الفخمة الضخمة ، وإهمالها هذه التركة الغنية بأثمن مواريث الفكر البشرى والترف العلمى والمتاع الثقافى والأدبى .

أليس من العجيب أن يتسع وقت موظف واحد من موظفى الحكومة المصرية فى القرن السابع الهجرى لتأليف معجم لسان العرب فى عشرين مجلداً بلغ بها فى زمانه حد الاتقان ، ثم نعجز نحن وأزهرنا وجامعاتنا ومجمعنا اللغوى عن أن نؤلف لزماننا معجما للعربية يكون - فى إتقانه وشموله وسهولة استعماله وحسن التسلسل الاشتقاقى والتاريخى فى مواده - مضارعا للمعاجم الممتازة فى اللغات الأخرى ، ثم نختصر منه لجمهور المثقفين معجما متوسطاً ، ونختار من الوسيط لصغار الطلبة معجما وجيزاً ، فنسد بهذه المعاجم الثلاثة الوافية حاجة العصر إلى مراجع فى اللغة يرتاح الناس إليها ويقضون وطرهم منها .

أليس من العجيب أن يحدث الله هذا الانقلاب السريع فى اتجاه الطلبة الجامعيين ، فبعد أن كانوا قبل عشرين سنة طابوراً خامساً يتنكر للتراث الإسلامى ، صار لنا منهم الآن

مكتبتنا العربية

مئات ومئات يهتفون من أعماق قلوبهم : القرآن دستورنا ، لكنهم يبحثون آناء الليل وأطراف النهار عن مراجع جيدة يتعرفون منها إلى تفاصيل أحكام هذا الدستور القرآنى فلا يجدون بين أيديهم ما يشبعون به نهمتهم الفكرية ، وما يسهل به عليهم التفقه بسنن الإسلام فى تكوين المجتمع الصالح ، والأمة المفلحة ، والدولة الإسلامية المثالية .

إن فقهاء القانون الفرنسى - على قرب عهده - قد أصدروا معاجم لفقه قانونهم حافلة بكل معنى من معانيه وكل غرض من أغراضه ، مؤيدة بنصوص القوانين المعمول بها ، ومقارنة بأمثالها فى مختلف البلاد اللاتينية الأخرى ، ومشفوعة بأحكام المحاكم العليا فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا وغيرهن ، ومرتبة موادها على حروف المعجم ، فيستطيع القاضى أو المحامى أو طالب الحقوق أن يراجع كل معنى يريده فى دقائق ليجد نصوص القانون وآراء علمائه فى تفسيرها وأحكام المحاكم وحيثياتها فى تطبيقها . أما فقهنا السابق على فقه القانون الفرنسى بأكثر من ألف سنة ، والذى ملأ علماؤنا وأئمتنا خزائن الأرض بأجود المؤلفات فى تأصيله وتفريعه ، وفى شرحه وبيان حكمته ، وقد حكم به مئات الألوف من قضاتنا فى أوربا (الأندلس وغيرها) وفى آسيا وإفريقيا بأحكام أصابت كبد العدل المجرد عن كل غاية وهوى ، وأفتى بدقائق وقائعه ومختلف مذاهبه ألوف الألوف من أعلام الفتيا فى جميع أمصار الإسلام من عصر الصحابة إلى الآن ، فإنه - ويا للأسف - لا يزال مبعثراً فى المخطوط والمطبوع من كتبه التى لم يتمرس بمراجعتها ولم يأنس بالإفادة منها حتى طلبة كلية الشريعة بالأزهر ، فما بالك بطلبة كليات الحقوق فى الجامعات المدنية ! بل إن أنفس كتب الفقه وأثمنها لا تزال مخطوطة وموزعة فى آفاق الشرق والغرب ، والمطبوع منها أصبحت طبعاته نادرة وفى حكم المخطوطة . وحتى غير النادر منها كيف يتوصل طلبة العلم إلى مراجعتها بوقت سريع وهى لم تنظم تنظيما مقارنا يقوم عليه فقهاء ضليعون أمناء على هذه الشريعة ويعتبرون عملهم هذا عبادة كما كان فقهاؤنا الأقدمون يتعبدون بهذا الضرب من ضروب القربة إلى الله عز وجل ؟

وأعلام هذه الأمة من الصحابة والتابعين والفاتحين والدعاة والحاكمين والعلماء والأدباء والساسة والمؤرخين والشعراء والمؤلفين وقادة الرأى ، لماذا لا يكون فى الأيدى كتاب واحد يجمع تراجمهم جميعاً من قدمائهم الأولين إلى زماننا هذا ، ليجد شباب الجيل فى سيرتهم الأسوة والقدوة ، وليعرفوا طريقهم إلى أهدافهم سائرين فيه على آثار من تقدمهم .

والمذاهب والنحل التى نجمت فى الإسلام ، لماذا تبقى إلى الآن عالة فى معرفتها على كتابى الشهرستانى وابن حزم ، ولماذا لا يقوم فى علمائنا من يدرس ما جد بعد الشهرستانى وابن حزم من مذاهب وطوائف ونحل آخرها البابية والبهائية والشيخية والبكتاشية والنجانية والقاديانية والأحمدية ؟ أليس من الفقر العلمى أن لا يكون فى أيدى الناس معجم عصرى جامع لكل فرقة ونحلة وطائفة وطريقة ومذهب نجم فى تاريخ الإسلام ، ولكل داعية من دعاة الفتنة والفساد الذين حاولوا أن يحدثوا فى الإسلام بدعة لم تكن منه ، وانحرافا عن كتاب الله وسنة رسوله بالدس أو التأويل أو التضليل أو غير ذلك من أساليب الشيطان ، فيكون هذا المعجم قائماً على دراسة كل فرقة ، والتعريف بها من نصوص كتبها وصميم دعوتها ، وكيف تطورت ، وماهى مقاطع أطوارها ، ومن هم الذين مثلوا هذه الأدوار ، وما هى مقاصدهم ، ولحساب من كانوا يعملون ؟ .

وهذا الوطن الإسلامى والعربى ، هل فى أيدينا معجم واحد شامل لكل ما فيه من أمكنة وبقاع كما هى اليوم وكما كانت من قبل ؟ إننا لا نزال نعيش فى ذلك على مجهود أبى عبيد البكرى يوم كنا نحن أصحاب البلاد الإسبانية ، وعلى مجهود ياقوت الحموى قبل مئات كثيرة من السنين . وقد قامت بعدهما معالم للعمران تغيرت بها الأرض غير الأرض ، وجدت لأبناء العروبة والإسلام ذكريات تاريخية ومفاخر أو كوارث ملية وقومية فى جبال وطن المسلمين والعرب وأوديته ومرابعه لم يكن يعرفها أبو عبيد البكرى ولا ياقوت ، فهل تحركت فى قلب عالم من علمائنا المشتغلين بالجغرافيا أمنية التفرغ لتأليف معجم جديد للبلدان الإسلامية والعربية يبنى فيه على ما أسسه البكرى وياقوت ، ويستقصى أسماء الأمكنة والبقاع إلى زماننا ، وكما هى فى زماننا ، فتحيى به مواطن الذكريات لنشأة عظمائنا وأحداث تاريخنا وميادين جهادنا الحربى والعمرانى والعلمى .

وحديث نبينا أيضاً كدنا نصير فيه عالة على الأجانب عنا فى ديننا ولغتنا وعلومنا ! أليس من المخجل أن يسهر فى بلاد هولندا رجال من علمائها على دراسة السنة المحمدية فى دواوينها الكبرى دراسة شمول واستقصاء ، فيتتبعوا كل لفظة وردت فى أى حديث نبوى ، ويثبتوها فى مكانها من معجم عظيم يشتغلون الآن بتأليفه ، ويضعون إلى جانب تلك اللفظة كل حديث وردت فيه ، ومكان ذلك الحديث فى كتبه المعتبرة مع تعيين أجزائها وصفحاتها من تلك الكتب . ونحن كان لنا من القرن السادس الهجرى كتاب النهاية فى غريب الحديث ، وهو معجم

مكتبتنا العربية

لألفاظ السنة ألفه ابن الأثير الجزرى بعد مؤلفات كثيرة تقدمته فى هذا الموضوع ، وجدت بعده كتب أخرى على هذ النمط ، غير أن هؤلاء الهولنديين لم يريدوا من معجمهم تفسير غريب الحديث ، بل أرادوا استيفاء ألفاظه واستقصاء الأحاديث التى استعملت فيها هذه الألفاظ والدلالة على مواضعها من كتب السنة ليتمكن طالب كل حديث من معرفة مواضعه فى الكتب المشهورة بسرعة ويسر ، ومع أن المؤلف الأول لهذا المعجم قد مات ، فإنه قد خلفه على الاستمرار فيه عالم من مريديه وأصدقائه ، ثم مات هذا المؤلف الثانى ، فتكفلت مؤسسة (اليونسكو) بالإنفاق على إتمامه والاستعانة بأهل العلم للمضى فيه ، وقد صدر منه إلى الآن ثمانية عشر جزءاً ، ومن الإنصاف الاعتراف للعاملين الأولين فى هذا الكتاب بأنهم لم يخطر على بالهم فيه أى كسب مادى ، وإنما قاموا به ليملأوا فراغا علمياً شعروا - قبلنا - بوجوده ، فأعدوا أنفسهم لسد ثغرة العلم من هذه الناحية ، ومضوا فى عملهم بجد وصبر ومثابرة لا يعرف قدرها إلا من يعرف قدر العلم ، ويشعر بالسعادة فى السهر عليه ، دون أن يخامره خاطر من خواطر الكسب المادى من وراء ذلك .

وتاريخ العروبة والإسلام ، وهو من حاجياتنا الأساسية فى مدارسنا ودراساتنا ، لا يزال إلى اليوم مهملا ، بحيث لا نستطيع أن نزعم أن لنا كتاباً واحداً فيه يعطى صورة صادقة لأبناء الجيل عن عظمة أسلافهم وما قاموا به للإنسانية وأمجادها من جهاد لم تبلغ أمة من أمم الأرض عشر معشاره . وإن أسلافنا البررة المخلصين ، والمعاصرين لهم فى كل أدوار التاريخ من علماء الطابور الخامس فى الإسلام ، قد سجل هؤلاء وهؤلاء وقائع التاريخ ، فجاء فيه الصدق والحق من طريق أهل الحق الصادقين ، وجاء فيه الإفك والزور من طريق ذوى الأهواء والمغرضين ، وقد يختلط هذا بهذا على الطلبة وأنصاف المتعلمين إن لم يبادر أهل الأمانة من علمائنا العارفين بأقدار أسلافنا فيمحصوا هذه الروايات ويجردوها من آفاتها ويردوها إلى أصلها الصحيح ، ثم يحسنوا عرضها فى كتب وجيزة ومتوسطة ومطولة ، فيتم البعث بذلك لجهاد مجيد قام به عظماء كانوا بشهادة الله لهم « خير أمة أخرجت للناس » ، وسار فيه على قدمهم مجاهدون من التابعين لهم بإحسان ففتحوا الممالك ونشروا دعوة الله إلى الهدى ، فنبغ فى ظلال نظامهم رجال من أبناء البلاد التى دخلت فى الإسلام على أيديهم كانوا أئمة الدنيا ومفخرة العلم والعدل ، وكانوا هم الناس فى زمانهم . بينما كتب التاريخ التى تلقن الآن فى مدارسنا ومعاهدنا لا يجد فيها شباب الجيل الصورة الصحيحة لتلك العصور ، وكل ما فيها قشور عن اختلافات زيد فيها وحرفت عن حقيقتها حتى صار

مكتبتنا العربية

فيها العظيم صغيراً ، وذو اليد الكريمة على أمته ذميما لئيما . ولو أن ماضى المسلمين كان للألمان وأمثالهم عشره أو جزء من مائة جزء منه فى ماضيهم لكتبوه بأساليب حكيمة تقنع أبناءنا فضلا عن أبنائهم بأنهم هم الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس . أنا لا أدعو إلى محاباة الأسلاف ، ووصفهم بغير ما كانوا عليه ، وإنما أدعو إلى تجريد سيرتهم من أكاذيب الطابور الخامس التى دسوها فى كتبهم وأصابت فيما مضى رواجا بتشجيع أهل الأهواء من ذوى السلطان ، وقد آن أوان تطهير التاريخ الإسلامى من هذه الطوارىء عليه والدخائل فيه .

نعم لقد آن أوان هذا التطهير والتنقيح فى كتب المناهج ، ومن الواجب على معاهد الأزهر وعلى وزارة المعارف أن يعيدا النظر فى كتب الدراسة ، وأن تكتب من جديد بالأساليب التى تلائم تكوين الأمة تكوينا جديداً سليما تتبوأ به مكانها بين الأمم .

يزعمون أننا فى عصر تقدم وارتقاء ، ومن الناس من يريد أن يوهمنا بأن عصور أسلافنا كانت دون عصرنا هذا فى نهضته العلمية وتقدمه الثقافى . ويكفى لإدحاض هذه الأكذوبة دليلان قائمان لا يستطيع أن يمارى فيهما أحد : أولهما أن الأقدمين كفوا أزمانهم ما كانت تحتاج إليه من المؤلفات والمعاجم الكبرى التى لا نزال عالة عليهم فيها ، والآخر أنهم كانوا يعملون لله معتبرين العلم وخدمته عبادة لا يشوبونها بشىء من شهوات الكسب المادى أو أنانية الاستعلاء .

ولو أننا من خمسين سنة إلى الآن أخلصنا للعلم كما أخلص له ابن منظور فى تأليف لسان العرب ، والنووى فى تأليف ما خلفه لنا من مصنفات نفيسة ، وابن حجر العسقلانى فى هذه العشرات الكثيرة من المجلدات التى خدم بها السنة ورجالها والشريعة وعلومها والتاريخ وأعلامه ، وابن تيمية الذى أحدث فى علوم الإسلام بعثاً جديداً بمؤلفات مبتكرة لو تفرغ أربعة رجال من بدء حياتهم إلى نهايتها ليبيضوا مسوداتها لما أتوا على آخرها — وهكذا كان علماؤنا من زمن الإمامين الشافعى وأحمد إلى زمن السيوطى وأضرابه يتعبدون بخدمة العلم وتمحيصه وتدوينه لوجه الله وحده — فلو سار علماؤنا من خمسين سنة فى طريقهم وخدموا العلم بالنية التى كان يخدمه بها الأسلاف ، لوجدت فى الأيدى حتى الآن أمهات الكتب التى نحن محتاجون إليها ، ولأمكن تتويج هذه الجهود بتأليف دائرة لمعارفنا كما ألفت الأمم — وآخرها اليهود — دوائر لمعارفهم .

مكتبتنا العربية

وأعظم ما أئتمن الله علماءنا عليه من أمانات العلم فى التراث الإسلامى (سنن الإسلام) التى يجب على كل مسلم إحياؤها والعمل بها فى الأخلاق الشخصية ، والتقاليد المنزلية ، والمعاملات فى السوق ، والآداب فى المجتمع ، والأحكام فى المحاكم ، والأهداف فى سياسة الحكم . وكيف يستطيع المسلم أن يحيى هذه السنن إن لم يعرفها ، وكيف يعرفها المسلمون إن لم يقم العلماء بأعباء هذه الأمانة الإسلامية بجد وحزم وعناية واستقصاء ، وأول مراحل القيام ببعث سنن الإسلام بعد العلم بها العمل بها ، وأول من يترتب عليه العمل بها العاملون بها . فإحياء سنن الإسلام أول جهاد العلماء ورأس واجباتهم ، وإثم انحراف الأمة عن هذه السنن وتعطيلها فى جميع المرافق - بعد تعطيلها فى النفوس والبيوت - واقع بلا شك على المقصرين فى تعريف المسلمين بها ، ودلالتهم عليها بالبيان العلمى ، وحسن عرضهم لها بالسيرة والتعامل والأخلاق .

وبعد فإن تراثنا العلمى القديم أغنى وأضخم من تراث أى أمة أخرى ، ولكن تقصيرنا فى دراسته وتنظيمه والإفادة منه قد تجاوز كل حد ، حتى كاد يحكم علينا المستشرقون بأننا لسنا من أهله ؛ ولو أننا نحن أصحابه لكان لنا فيه شأن آخر .

ترى هل آن الأوان لتغيير موقفنا من أمانة العلم ، وهل يحاسب كل منا نفسه على ما قام به فى حركة البعث والإحياء ، لنصل حاضرنا بماضينا ، ونكون أمتنا فى عصرنا تكويناً عربياً إسلامياً نعيد به ما مضى من جمال كياننا ، مع ما نحن قائمون به من تجهيزه بأحدث معارف العصر وصناعاته وأسباب قوة الأقوياء فيه ؟

إن التفكير فى ذلك ، والتماس الأسباب لتحقيقه ، من تمام ما نحن فيه من تجديد ، فى هذا العهد الجديد ؟

محب الدين الخطيب

العاجلة والآجلة

من كلام سهل بن هارون :

من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها .

مكتبتنا العربية

الشرق والغرب وهل يجتمعان

الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولا يلتقيان أبدا .

هذه الكلمة قالها كبانج الشاعر الإنجليزى وشاعت فى البيئات العلمية ، وأخذها كثير من الناس بالقبول ، وأدخلت فى قلوبهم يأسا من الوصول إلى عالم أفضل يتفاهم فيه الشرق والغرب ، ويتعاونان لا على التغلب على مشاكل الإنسانية الحاضرة فقط ، بل على التغلب عليها فى المستقبل أيضا ، فإن تعاون البشر جميعا يجب ألا يكون تبعا لمصلحة وقتية ، يبرمه قوم متى شاءوا ويحلونه متى شاءوا ، بل يجب أن يكون تبعا لمصلحة الإنسانية الخالدة فى جميع عصورها ، ويجب أن يكون تعاونا فى العلم والأخلاق والسلوك . وفى غزو المجهولات من قوانين الكون ، وفى غزو الأفكار والنظم التى تفتك بالبشر ، وفى غزو الأحقاد والأضغان والأطماع والاستعلاء والاستبداد ، وفى غزو الشقاء والحرمان ، وفى غزو هذا النقص الذى فى الإنسانية والعروج بها نحو الكمال الممكن .

إننا نؤمن بأن هذا التعاون ممكن ، وأنه لا يقف فى سبيله اختلاف بين الشرق والغرب ، وأن الشرق والغرب يمكن أن يجتمعا وأن يلتقيا لخير الإنسانية الحاضرة والمستقبلة . وسبيلنا هنا أن نساير هؤلاء القوم الذين يرون أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، ونعلم حججهم ونرى أهى تبرر لهم مايعتقدون ؟!

يرى القوم أن بين الشرق والغرب فوارق فى العقلية والمعتقد والقيم الأخلاقية والنظر إلى الحياة . وهذا الاختلاف مما يبعد بينهما ويجعل الالتئام والتفاهم عسيرين ، فالغرب مادى موغل فى المادية ، والشرق روحى موغل فى الروحية ، والغرب تعنيه الحياة الدنيا والعمل لها أكثر مما تعنيه الحياة الأخرى ، والشرق بالعكس ، لذلك ترى الأول معنيا بإصلاح دنياه فى حين أن الثانى مهمل لها ، والأول يحكم المصلحة حتى فى عالم الأخلاق فلا يفى بالتزاماته وعهوده ومواثيقه إذا رأى المصلحة فى ذلك ، والثانى بالعكس فهو يفى بعهوده ولو أدت إلى ضرره أو قتله أو قتل من يحب ، والأول يعتقد الحرية والاختيار فى تكوين نفسه وصوغ مستقبله ، والثانى يرى أنه محكوم بقوة غيبية هى التى تصرفه وهى التى تحركه وقد كتبت مستقبله

مكتبتنا العربية

وهو ينشر ما كتبته ويتصرف فى الحياة على ما رسمته . وهذان الاعتقادان لهما تأثير عظيم فى عمل كل منهما وفى تصرفاتهما فى الحياة ، والأول ينسب الحوادث إلى أسبابها الظاهرة والثانى ينكر الأسباب وينسبها إلى الله مباشرة فعلا وتقديراً لأنه لا فاعل إلا الله .

وهذه الخلافات العقلية والنفسية بين الشرق والغرب كونتها البيئة الطبيعية فى كل منهما من الحر والبرد ، والرطوبة واليبوسة ، وسهولة الأرض وحزونتها ، وخصبها وجدبها ، وكرمها وبخلها ... الخ . فإذا كانت الأرض على حالة ، كوّن أهلوها على وفق هذه الحالة ، فالأرض الخصبة الكريمة التى تعطى أهلها خيراتها عفوا تولد فى أذهان أهلها سطحية لأنها لا تحوجهم إلى كد الذهن واستنباط الفكر ليأخذوا ما يحتاجون إليه منها ، والأرض البخيلة بالعكس تكسب أهلها عمقا فى التفكير لأنهم يعملون عقولهم فى استنباط ما يحتاجون إليه منها ، وكما تؤثر فى العقول تؤثر فى الأخلاق ، فالأرض التى تعوّد أهلوها أن يأخذوا خيراتها فى مواعيد محدودة لا تكاد تتخلف ، وبكثرة وسخاء لا تشح ولا تقل ، تعود أهلها الكرم والبذل والتهاون وعدم التفكير فى العواقب . والعكس صحيح ، فالأرض الشحيحة البخيلة بخيراتها تعوّد أهلها البخل والاحتفاظ بما فى أيديهم والتفكير الطويل فى المستقبل والاستعداد وأخذ الأهبة وهكذا . وما بنى على أسباب طبيعية لا تتغير فسيبقى ما بقيت هذه الأسباب . وكما كان الحر فى المناطق الحارة يسود لون البشرة ، والبرد فى المناطق الباردة يبيضها ، ولا تغير النتيجة ولو حاول المرء التغيير ، كذلك الحال فى تأثير البيئة الطبيعية فى الأخلاق والعقول .

إننى أعلم هذا جميعه ، وأعلم أن منه ما هو قابل للمناقشة ، وأنا أحاول التوفيق وإزالة أسباب الخلاف والعمل على تكوين مجتمع إنسانى أفضل ، وأريد أن أقتصد فى بحثى وأتناول جزءاً من ذلك الموضوع العام وهو الإسلام والغرب ، وأرى أن الفجوة التى بين الإسلام والغرب ليست فيما ذكرنا بعضه من أخلاق وعادات وبيئات طبيعية وجغرافية ، ولكن الفجوة قد عمقها ووسعها حوادث تاريخية خلقت كثيراً من سوء الظن وعدم الثقة وقواعد السلوك والمعاملة . ونحن سنجمل بعض ذلك فيما يلى :

كانت المسيحية تبسط نفوذها على كثير من البلدان التى فتحها الإسلام كسورية ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس ، فكان كلما فتح بلداً آلم معتنق المسيحية ، وتناقلت أخباره الركبان إلى البلاد القريبة والبعيدة وكان له رنة أسى وحزن وعدّوه خذلانا واندحاراً للمسيحية أمام الدين الجديد : الإسلام ؛ وكانوا يرونه رقا واستعباداً للمسيحيين

مكتبتنا العربية

ويتناقلون الأخبار الكاذبة عن سوء المعاملة . وقد أراد المسيحيون أن ينصروا هذه الأكاذيب ويغرقوا فى المبالغة والخيال ليبغضوا الشعوب المسيحية فى الإسلام والمسلمين ليستثيروا عزائمهم وأقصى ما عندهم لدفع الإسلام ورده عن بلادهم .

وقد كان فتح بيت المقدس وسورية نصراً مؤزراً ذا نتائج باهرة وخيرات عظيمة للإسلام والمسلمين ، ولكنه كان من جهة ثانية أكبر العوامل فى تعميق الهوة بين الإسلام والمسيحية ، فقد رأى المسيحيون أن الإسلام استولى على الأرض المقدسة التى هى مكان يحجون إليه من جميع بلاد الدنيا ، ويقدسونه لأنه ولد فيه المسيح وفيه تربى وفيه علم تعاليمه وفيه صلب ودفن - على ما يعتقدون - فهو محل الذكريات الدينية المقدسة وهو مكان الوحى والإلهام وموطن النفحات القدسية والبركات الإلهية والحج والمزار والتقديس والاعتبار ، فكان ذلك حادثا بغض اليهم الإسلام والمسلمين وأحدث فجوة عظيمة الاتساع عميقة الغور بين المسيحية والإسلام .

وعلى الرغم من أن الإسلام كان يعظم موسى وعيسى وآثارهما وكان يعظم داود وسليمان وأنبياء بنى إسرائيل ويعظم بيت المقدس وجعله من المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها ، وعلى الرغم من أنه احتفظ بالكنائس والبيع لأربابها ، حتى أن الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب لما زار بيت المقدس بعد أن فتحه المسلمون وحضرته الصلاة أبى أن يصلى فى كنيسة للنصارى مخافة أن يتخذها المسلمون مصلى ومسجدا ، فتخرج من أيدى أصحابها ، وبالرغم من أنه لم يحل بين المسيحية والحج إلى بيت المقدس ، بالرغم من ذلك كله ظلت المسيحية ترى قلبها النابض الذى يرسل إليها الحياة فى أيدى المسلمين فاستعمل رجالها الدعايات وصوروا الإسلام دينا وثنيا يهيم بالشهوات الجسدية وليس فيه معان إنسانية مقدسة وصوروا رسوله بصورة الكاذب المشعوذ الهائم باللذة الجسدية والذى يدعو معتنقيه إلى عبادتها والهيام بها .

أفسحت الدعايات الباطلة فى خلق روح معادية للإسلام والمسلمين مملوءة بالأحقاد والأضغان والإحن .

وكان هذا الرصيد من البغض والكراهية وحب الانتقام من الإسلام والمسلمين قد حمل أوربة ، ملوكها وقوادها وشعوبها ، على أن تقطع الفيافى والقفار والوديان والبحار لغزو المسلمين فى عقر دارهم وتخليص الأرض المقدسة من أيديهم وإعادة بلاد النصرانية إلى

مكتبتنا العربية

النصرانية، وكانوا يرون من المسلمين معاملة إنسانية سامية، وكانوا يعاملون المسلمين معاملة وحشية قاسية ولم يخف حقدهم وموجدتهم مع هذا كله وتكررت الغزوات والحملات ومكثت ما شاء الله من الزمن الطويل.

وللأمم رأى فى دراسة التاريخ فهى تسخره لخدمة شعوبها وأغراضها، فهى ترفع أوطانها وأبطالها إلى الذروة وتنتقص الآخرين ولا يعنيها أن يطابق التاريخ الواقع، إنما يعنيها أن يخدم وطنها وأن تغرس الكرامة والمحبة لأحبابها وتغرس الحقد والبغض والهوان لأعدائها أو لمن تراهم أعداءها، وعلى ذلك جرى التعليم والتربية فى مدن أوربة ولقى الإسلام والمسلمون جوراً وظلما واتهاما كانا بريئين منها، ولكنها عمقت الهوة بين المسيحية والإسلام.

وكان لمثل فتح بيت المقدس فتح القسطنطينية، فقد كانت عاصمة الروم الشرقية وكانت المسيحية تعتز بها، فلما فتحت كان له من الأثر مثل ما لفتح بيت المقدس.

وهذا هو السر الدفين فى كثير من الحركات والحوادث فى التاريخ، فالحروب المتوالية التى استمرت قرونا بين الأسبانيين والمسلمين فى الأندلس، والتى انتهت بإجلاء المسلمين عنها وخروج هذه الدرة اللامعة من التاج الإسلامى، وما كان فى خلال ذلك وبعده من اضطهاد دينى يقشعر المرء منه عند سماعه، مرجعها هذه الروح التى ربتها الأجيال والقرون والدعايات المغرضة، وهذا هو السر أيضا فى أخطاء الباحثين فى الدين الإسلامى من المستشرقين، فكثير منهم كان يعالجه بهذه الروح، ولقد خرج بعض منهم من قيود هذه الروح فأنصفوا الإسلام وبنى الإسلام كالكونت دى كاسترى وكارليل، ورأوا فيه دينا أدى للإنسانية خدمات، وعرج بها درجات.

وهذا هو السر أيضا فى أن أوربة تنكر على الإسلام والمسلمين أنهم ساهموا فى رقيها، وقاموا بقسط وافر فى نقلها إلى هذه الحضارة التى تنعم بها اليوم، والمسلمون فى الأندلس الذين جوزوا كما جوزى سنمار، هم الذين دونوا الفلسفة وشرحوها ولخصوها وأزالوا عنها أغلاط القرون وفساد الدهور، فأخذتها عنهم وشغلت بها نقداً وتمحيصا وبناء على ما عرفوا منها حتى كانت هذه المدنية التى يتمتع بها العالم اليوم.

هذه هى الحوادث التاريخية والدعايات الباطلة التى أثرت فى نفوس الغربيين وباعدت بينهم وبين الإسلام وخلقت روحاً عامة فى أوربة معادية للإسلام والمسلمين.

أما الحوادث التاريخية التى أثرت فى نفوس المسلمين وحملتهم على فقد الثقة بالغرب فهى ما لا يزالون يذكرونه من الحروب الصليبية ومن تجمع أوربة عليهم وعلى غزوهم

مكتبتنا العربية

فى عقر دارهم ، ثم إخراج المسلمين من الأندلس ، وإزالة ملكهم منها ومحاكم التفتيش ، ثم حروب البلقان ومعاونة أجزائه على الانفصال من حكم الإسلام ، ثم تقسيم تركة الرجل المريض ، ثم ذلك الاستعمار الذى جثم على ممالك الإسلام وتوزيع ملكه بين المستعمرين ، ثم حوادث فلسطين الدامية وتشريد سكانها فى الفيافى والقفار ، ومنح اليهود إياها تحت سمع العالم المتمدن وبصره ، فهى مثل الحوادث التى أثرت فى نفوس أوربة ، والفارق أنه لم تصحبها دعايات باطلة ، فما زال عيسى ابن مريم فى الإسلام روح الله وكلمته ، وما زال يقر له بالكرامة والمعجزات وما زال ينزهه وينزه أمه عما قرفهما به اليهود وما زال يتلى فى كتابه الخالد :

« ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

وقد أصبح الدواء معروفا مما تقدم وهو ينحصر فيما يأتى :

١ — أن ينصف الفريقان بعضهما بعضا فى التاريخ فيعلم كلاهما أن الأرض التى هم عليها قد أخذوها ممن كان يملكها قبلهم ، وأن من كان يملكها قبلهم قد أخذها ممن كان يملكها قبله ، وهكذا دواليك ، وأن هذه سنة الله فى الوجود ، وأنه لو صح لأحد أن يطالب بها بحجة أنه كان يملكها قبل ذلك بقرون ، لصح لسكان أرض فرنسا وانجلترا الغابرين أن يطالبوا بإخراج الفرنسيين والإنجليز الآن من أراضيهم بحجة أنهم كانوا يملكونها قبل ذلك :

ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم رعايا ولكن ما لمن داوم

وبذلك تسقط حجة اليهود فى أن فلسطين لهم لأنهم كانوا يملكونها من قديم .

وقد كان بعض هذا التعاقب فيه صلاح البشرية وتقدم الإنسانية . إذا علمت هذه الحقائق خفت الموجدات والأحقاد وبطلت هذه السياسات التى تعمل على رد ما كان إلى ما كان .

٢ — أن تغير دراسة التاريخ فى أوربة ولا سيما ما يتعلق بتاريخ الإسلام والمسلمين ، فلا يدرسوه على وجه يحيى العصبيات على الإسلام والمسلمين ويدعو إلى احتقاره واحتقارهم ، بل يدرسوه دراسة منصفة تبين حقيقته وما قام به من جهد فى تقدم الإنسانية وخدمة البشرية وأن تنصف المسلمين كذلك ، ومن حسن الحظ أن بعض علماء أوربة قد درس الإسلام وعلم حقيقته وأنصفه وأنصف المسلمين وبين ما لهم من قسط وافر فى نقل الحضارة والعلوم إلى أوربة .

ومن حسن الحظ أيضاً أن هيئة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة قد علمت ضرر

مكتبتنا العربية

دراسة التاريخ على وجه يثير العصبيات والاحقاد فأوصت أن يدرس على غير هذا الوجه فى الشرق والغرب والعبرة بالتنفيذ : ونرجو أن يصاحبه التوفيق .

٣ — يجب أن يزول نظام الاستعمار وتسلط أمة على أمة وأن يكون لكل أمة الحق فى تقرير مصيرها ، وإذا كان الضمير الإنسانى قد أنكر أن يستعبد فرد فرداً ، فأعظم نكراً منه أن تستعبد أمة أمة . يجب أن تزول علاقة السيد بالمسود والحر بالعبد وتحل محلها علاقة الشريك بالشريك والمعاون بالمعاون والحر بالحر . وتجربة بريطانيا فى الهند والباكستان تشجع على ذلك .

وكما أن نظام الرق يجعل الارقاء لا يصلحون لشىء إلا لخدمة من استعبدوهم ، كذلك نظام الاستعمار يعطل المواهب والعقول ويسخر الأمم لخدمة المستعمرين .

وهذا مخالف لسنة الوجود ، لأن البشرية تريد أن تنتفع من جهود جميع أبنائها وأن يعمل الجميع لتقدمها ولا تحتمل فساد طائفة لأن الفساد يعدى ، والداء يسرى .

إن الاستعمار يولد بغضاً وحقداً فى الأمم المستعمرة على من استعمروهم ، وكذلك يولد الحقد والبغض بين الأمم الراقية ، لأن الأمة المحرومة تحسد على الأمة التى ملأت يديها من خيرات الارض وفازت بقسط أكبر من المستعمرات ، فتريد أن يكون لها هذا النصيب فتشعل نار الحرب . وإذا دققت النظر فى الحربين العالميتين الأخيرتين وجدت أسبابهما ماذكرنا ، فإنك تلمح المجال الحيوى الذى كانت تتشبث به ألمانيا ، وتدعو إليه ، وتلمح موازنتها بين ما يملكه الفرد الالمانى من الأرض وما يملكه الفرد الهولندى أو الانجليزى أو الفرنساوى والفرق الشاسع بينهما بسبب الاستعمار .

ومهما قيل من أسباب أخرى ، فذلك إبعاد فى الخطأ وإيغال فى البعد عن الحقيقة ، ولفت للأنظار عن السبب الحقيقى وذلك ليس فى مصلحة الإنسانية .

ومن حسن الحظ أيضاً أن هيئة الأمم المتحدة أدركت ذلك أيضاً وأعلنت حقوق الإنسان وحق كل أمة فى تقرير مصيرها ، ونقولها ثانية : إن العبرة بالتنفيذ ، وقد سمعنا مثل هذا فى شروط الرئيس ولسون عقب الحرب الأولى ، كما سمعنا الميثاق عقب الحرب الثانية من الرئيس روزفلت .

من مصلحة الإنسانية أن يكون ذلك صدقاً وحقاً ، وأن تعمل الدول على تحقيقه .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٤ —

٣ — البيت العتيق

« وأتموا الحج والعمرة لله »

فى ظل الدعوة الجديدة التى هتف بها محمد ﷺ فى مكة ، واستقرت دعائمها فى المدينة ، وكثر سواد المسلمين بها ، كانت للنبي وأنصاره غلبة على قريش ، واستردوا البيت من أيديهم بعد أن حيل بينهم وبينه ثمان سنوات ، منذ هجر النبي وصحبه وطنهم الأول إلى دار النصرة والإخاء .

منذ اليوم خضعت رءوس كانت تتشامخ بالجبروت ، وخشعت للحق أصوات كانت تتصايح بالباطل ، ودكت فى هوان ومذلة أصنام كانت تحاط بالإجلال . . وطهر البيت العتيق من لوثته ، وعاد كما كان أول نشأته ، وتركزت راية الإسلام فى مستقرها الأول .

وعرفوا بعد طول شقاق أن لله الدين الخالص : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » .

وإلى اليوم لم يكن حج البيت عندهم إلا تقليداً موروثا ، وعادة مرعية يحتفظ بها العرب كما كانوا يحتفظون بغيرها من عادات وتقاليد ، ولئن كان فى أول أمره ديناً على عهد إبراهيم وإسماعيل ، فقد تبدل كما تبدل الحق بينهم فى كثير من صوره ، وطغى عليهم الباطل فى أغلب الأوضاع .

فأما وقد نهض الحكم لله فى مكة المعاندة ، وأصبح الشأن للإسلام الذى كان طريداً منها ، فقد آنت دعوة الناس جميعاً إلى الحج والعمرة بعد أن استقرت بمكة قدم الفاتحين بعام واحد : أعنى فى السنة التاسعة من هجرتهم إياها .

وبذلك تألفت أركان الإسلام الخمسة ، إذ كانت الصلاة ، والزكاة ، والصوم قبل الحج بأعوام .

وأصبح المسلمون من قريش وسواهم يتشيحون بشعار الوحدة الدينية المتماسكة ، وأصبح

مكتبتنا العربية

البيت من جديد ملتقى جموعهم وإن شطت بهم الديار ، وموسم تزاورهم وإن اجتازوا إليه المهامه واستهدفوا للأخطار ، وقبلة صلاتهم ، وإن ترامت بهم الأقطار وزخرت دونهم البحار .

فهو البيت الذى تتوحد فيه أوطانهم ، وتندمج عنده جنسياتهم ، وتأتلف حوله عواطفهم ، وتتآخى على الحب قلوبهم .

فإذا اجتمعوا إليه : أحاطوه بالأجساد والأرواح .

وإذا تفرقوا من حوله : رمقوه على البعد بالأفئدة ، والخواطر ، والبصائر ، فأى صلة تكون بين المسلمين آكد من هذه ؟ ؟

وأى عهد أوثق عند الله من عهد تولى الله عقده بينه وبين خلقه ، وربط به بين الآخذين بدينه ، وجمعهم به على ملة أبيهم إبراهيم ؟ ؟

ولم تك ملة إبراهيم سوى الإسلام مهما تحيفوا منها ، أو بدلوا فيها ، أو صبغوها بالطائفية ، وسموها بغير ما سماها الله .

« ما كان إبراهيم يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ، « أم تقولون إن إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط : كانوا هوداً ، أو نصارى ؟ ؟ قل : أأنتم أعلم أم الله ؟ ؟ »

دين إبراهيم هو الإسلام : الإسلام الخالص . . « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

فمن الذى يرتكس فى الضلالة عن هذا ، أو تجرفه الجهالة فيحسب جميع الناس سواء فى عاقبتهم إذا كانوا على عمل طيب فى دنياهم ، ويتعامى عما فرق الله به بين خلقه فيما يعتقدون . . « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد . . » هذا تقرير القرآن ، وما سوى ذلك فباطل[1] . درج المسلمون على هذا ، وفرغوا قديماً من تمحيص العقيدة ، واطمأنوا إلى ما بينهم من أسباب تصلهم بالله ، وتجذبهم إلى نقطة الارتكاز التى هى معقل الإسلام وبرجه الشامخ الظليل ، ... وهم حفيون بالبيت العتيق وإن ازورت منه أمم ضالة ، وفرحون به وإن حنقت عليه طوائف مكبوتة ، ومتعلقون به وان انحرفت عنه نفوس مريضة .

---

(١) انظر الجزء التاسع رمضان سنة ١٣٧١ ص ٢٢ من هذه المجلة .

مكتبتنا العربية

وهم يعتقدون حقاً أن من رحمة الله بهم، وكرمه فيما تخير لهم أن دعاهم إلى الحج والعمرة، وجعل هذا فيما شرع لهم أمراً حتمياً ولم يكن اختيارياً، إلا لمن أدى فرضه، وأبرأ ذمته.

ونحن نقف الآن من حكمة الله موقف المستهدى إلى تعرفها، والتثبت منها، ليزداد الذين آمنوا إيمانا، فالله سبحانه يقول بعد تشريعه دعوة الناس إلى الحج: «ليشهدوا منافع لهم».

فما هى تلك المنافع التى يستنهضنا اليها القرآن، بل استنهضنا اليها الإسلام من عهد إبراهيم عليه السلام، وأين هى؟ سيما أن القرآن يوجهنا إلى أنها مشهودة، والمشهود لا يحول بينه وبين مبتغيه إلا أن يخف إليه، ويدركه فيما يدرك بجهد يسير.

كما أن القرآن لا يدعو إلى أمر متخيل، ولا يرغبنا فى خير طفيف، وإنما يعتمد الواقع، ويحث على الجزيل.

ونحن فى ضوء هذا التوجيه نلحظ أن أسلوب الدعوة إلى الحج أقرب إلى الترغيب والتشويق والإطماع فى الخير، ويكاد لا يفصح عما يلابس أعمال الحج من متاعب كما يفصح عما يقترن به من آمال، فأنت تقرأ - مثلا - قوله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه - ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب».

تقرأ هذه الفقرات فتلمس فيها ترغيباً قوياً، وتلمس فيها إشادة بالأيام المعلومات - أيام الحج -، وإشادة بذكر الله فى هذه الأيام لما لها من خصوصية، وتلمس فيها امتناناً من الله على عباده بما رزقهم من بهيمة الأنعام، وبما أتاح لهم من هناءة مباحة، ومن عمل صالح، فهم يأكلون، ويطعمون البائس الفقير، وهم يوفون لله بما نذروا، ويطوفون ببيته، ويعظمون شعائره، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

تقرأ هذا السياق الرطب المعسول عن الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام، وما يتصل بذلك من مقاصد مشكورة، وهذا يبهرك ويغريك وينسيك ما قد يكون من نصب وعنت، وتقرأ فى مقابلة هذا شيئا عن الإحصار الذى يصادف المحرم بعد أن تلبس بالنسك، والتزم

مكتبتنا العربية

وفاءه واحتمال ما به من حرج ، وتقرأ عن حظر الصيد فى الحرم ، وحظره على المحرم أينما كان ، وعن عدم حلق الرأس إلى أمد معين ، وعما سوى ذلك من محظورات الإحرام ، وما يترتب عليها من فدية وجزاء ؛ على ما هو مبين ويعرفه أولو العلم .

والنظر إلى هذا الجانب يوقع فى الروع أن فى الحج متاعب ، وخاصة على المغترب والمترف ، وأن العناء فى أعماله قد يزيد عما هو فى الحسبان ، وقد ينال من الإنسان كثيراً .

فلم أفصح القرآن وأشاد فى جانب الدعوة ، ولم أجمل واقتصد فى الجانب الآخر : جانب المشقة ؟

قلت : إن القرآن يعتمد الواقع ، ويبرزه فى صورة تكشفه ترغيباً فيه إن كان مشوقاً ، وترهيباً منه إن كان مخوفا .

لذلك كانت إشادته بنفع الحج بقدر ما علم الله فيه من خير ومغنم ، فإن فاتنا شىء من علم ذلك الخير المرجو ، فحسبنا اطمئناناً أن الله نوه إليه ، ووعد به ، ورغب فيه وأحبه لنا ، « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » .

وأما ما يعلق بالحج من مخاوف ، أو يعترض قاصد بيت الله من مشقة ، فلا يدانى ما فيه من فضل ، وما له من مقام . لذلك لم يأبه القرآن فى هذا الجانب إلا بذكر ما يترتب على المحظور ، وبيان ما يقتضيه الشأن ، وما سوى هذا فلا يقام له وزن فى باب الطاعات ، ومن شأن النفوس الخيرة السلسة القياد أن تسبق إلى الغرض وتتوق إلى الفوز ، وتخف إلى المبادرة ، وتنشط إلى التلبية غير حاسبة حساباً لما يلم بها من شظف . . على أن متاعب النسك قد لا تبلغ فى قسوتها على المترف مخاوف سفر آخر يقصد للربح ، أو يراد لغاية أخرى من الغايات .

فى حين أن أى سفر آخر وإن عظم لا يجدى على المرء ما يجديه القصد إلى بيت الله الحرام فإذا كان الربح الهين ، والمتعة التافهة مما يدفع بالناس إلى ركوب المخاطر ، فكيف يقعد المستطيع عن ربح خطير وعد به الله ، وهتف به القرآن ؟ ؟ .

ومع هذه الموازنة وبيان أرجحية النفع فقد يسر الله على عباده ، وجعله فى العمر مرة ، وشرط فيها القدرة والأمن ، وكان من شأن هذا التيسير أن يجتذب الناس إلى السمع والطاعة خروجاً من عهدة الفرض وشكرا على هذا الرفق ، ولكن الناس توسعوا فى تمحل المعذرة

مكتبتنا العربية

واستمرأوها حتى توانوا عن ركن من أركان دينهم ، وهم قادرون عليه ، وانتقضوا فى تبجح بغيض على أقدس مظهر من مظاهر القومية الدينية ، وأجهر شعيرة من شعائر الإسلام .

نستطيع بعد هذه اللفتة اليسيرة أن نعود إلى تعرف المنافع التى حدثنا القرآن أنها مشهودة ، وهى بعينها الحكمة التى نيط بها تشريع الحج والعمرة فى دين الله منذ القدم .

١ — نرى الحياة الدنيا بعد أن اجتازت من عمرها شوطاً بعيداً ، ونرى الحضارة منذ بدأت تنضج فى جوانب دنيانا ، ونرى العقلية الاجتماعية منذ نشطت من عقالها : ترى كل هذه الأمور الثلاثة توجه الناس توجيهاً لا مندوحة عنه إلى الاتصال ، وتدفعهم دفعاً إلى التلاقى ، وتحفزهم على تقريب المسافات رغبة فيما وراء هذا من منافع لا تنال إلا باشتراك الجهود فى عمارة الدنيا ، وبسط أجنحة الحضارة ، وإسعاد الإنسانية أينما كانت ، وبهذا ترددت فى الآفاق دعوات المصلحين الواقفين على مشارف النهضات ، بعد أن كشفت لهم تجارب الزمن عن الحاجة إلى التضافر الأشمل : غير أنهم وإن تصايحوا بالدعوة إلى تلك الأهداف لا يزالون أشتاتاً متفرقين فى الاتجاه ، لأن إيمانهم بما يدعون إليه لم يتنزه عن الغايات ، ولم تبرأ دعوتهم من الألاعيب ، ولم تزل نياتهم فى قبضة الشيطان .

ولكن الإسلام - وهو دين الفطرة - أدرك من قبل : ما أدركه الناس من بعد ، فسبق إلى تشريع مؤتمره العام ، وحاطه بنظام يغنى عن الكد فى التقنين وهيأ للمسلمين . بل حتم عليهم أن يتلاقوا فى مؤتمرهم كل عام فى بيت الله الحرام .

وما كان لدين يوجه دعوته إلى من هنا ومن هناك ، وينظر إلى سكان الأرض نظرة سواء ، ويرمى إلى تكوين أمته على غرار متحد وقومية متماسكة : ما كان له أن يغفل جمع أهله فى مواسم معهودة ، ليتعرفوا ما بينهم ، ويدركوا ما يحيط بهم ، ويأخذوا بما ينبغى لهم ويجدر بهم ، حتى لا تتعطل مواهبهم ، ولا تضعف شوكتهم ، ولا يستبد الجهل بعقولهم فتضيق عليهم سبل الحياة بما يصيبهم من كسل ، أو يحدق بهم من هوان .

باجتماع المسلمين فى البلد الأمين كل عام تتفتق أذهانهم عما توحى به الفطرة الجماعية ، ويستفيدون من سجال الرأى ما يدعمون به حياتهم ، ومن التعارف ما يشد أواصرهم ، ويتعاظمون به على من عاداهم ، ويرهبون به من طمع فيهم ، وذلك جانب خطير فى تركيز الدولة لو فطن الغافلون .

فأنت ترى من هذه الناحية وحدها أن الإسلام ، القديم على حضارتنا الراهنة ، قد سبقها

مكتبتنا العربية

منذ قرون إلى جدتها المستحدثه ، وهو مع ذلك أكمل فى نظامه ، وأصدق فى دعوته ، وأخلص فى أهدافه ، فهو شباب فى حضارته وإن تقدمت به السنون .

٢ — وناحية ثانية - لا يعوزها الإيضاح - فيما ينطوى عليه تشريع الحج والعمرة : ناحية التربية الفردية ، لتكوين أشخاص تتألف منهم الأمة المنشودة .

فالإسلام فى مساواته بين الناس يتمثل فى مظاهر المحرمين بالنسك من الرجال ، إذ يقتضيهم أن يخلعوا ملابسهم ، ويطرحوا ما عساه من مميزات البيئة ، ومظاهر النعماء ، ليتوارى عن الأعين ما يكون من أمارات السؤدد ، ومياسم المجد ، فلا زهو ولا خيلاء ؛ أو ما يكون من أكسية فيها ابتذال ورثاثة ، فلا غضاضة ولا هوان .

فإذا استووا فى شعار الإحرام على نحو ما وصفت الشريعة - إلا من اضطر - أحس الجميع بتلاشى الفوارق ، ورجعت بهم الخواطر إلى المساواة فى العبودية لله ، وإلى الأخوة فى الإنسانية ، وصغرت فى نفوسهم الظواهر الشخصية أمام العزة الدينية ، ودبت فيهم الحساسية بالكرامة ، وأنه لا سيد بينهم ولا مسود ، ولا راجح ولا مرجوح ، وإنما هم جميعاً عفاة ضارعون ، خرجوا من ديارهم ، واغتربوا عن أهليهم ، وخلفوا وراءهم ما كان يشغلهم من أموال ، ومن كان يعز عليهم من بنين ، وتمثلوا فى تجردهم من المخيط بما سيلقون عليه ربهم بعد ارتحالهم عن الدنيا . وتقدموا فى تواضعهم هذا إلى ساحة إله كريم ، يجأرون إليه بالاستجابة : (لبيك اللهم لبيك ؛ لبيك لا شريك لك لبيك الخ) . وهكذا يناجون ربهم بالدعوات الطيبات ، ويستشفعون بأعمالهم الصالحات .

يتعاطف بعضهم على بعض ، لأن الإسلام هو اللحمة الواصلة بينهم ، ومرضاة الله مطمعهم وأملهم ، وبذلك تذهب الأنانية من بينهم ، ويملأ الإخلاص قلوبهم ، وتتركز لديهم العقيدة الإسلامية على أساس من الحق ، وركن شديد من اليقين .

وإذا كانت هذه الخصائص من نفحات الله على بيته ، ومن فيضه على زواره ، أفلا يكون من الخير لعباده أن جعل الحج إليه ركناً من أركان دينه ، ليتفقهوا ويفقهوا : كيف « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ؟ ؟

وإذا فقهوا ذلك فان يصرفهم عنه كبرياء ، ولن يزهدهم فيه خطأ فى التقدير ، وسيعلمون ، أو يعلم الموفقون المهديون منهم ، أن المتقاعدين عن البيت - وهذا شأنه -

مكتبتنا العربية

متخلفون عن نفع كبير ، وخير غير يسير ، وأنهم منتقضون على نظام خطير وضع لصلاح الفرد ونظام المجتمع ، وإنها لكبيرة لا يبوء بها إلا من سفه نفسه .

ولكن : مهما غفل عن بيت الله غافلون ، فإن جماعة المسلمين على إيمان حق بأنهم إذا شخصوا إلى البيت فإنما يلوذون بمقام تهبط فيه الرحمات ، وتستجاب عنده الدعوات ، اليه يلجأ العائذ بربه ، ويطهر فيه التائب من ذنبه ، ويتجدد فيه العهد ، ويتوثق فيه الإيمان .

هو مشهد تزدحم فيه الأشباح ، وتناجى ربها الأرواح ، والمسلم الحاضر هناك . . أخو المسلم الغائب هنا . . يذكره كما يذكر نفسه إذا زار البيت ودعا . . ويذكره إذا وقف بعرفات وأفاض ، وإذا طاف وسعى ؛ وربك ممن دعاه قريب ، وهو للأوابين مجيب .

ورب قائل : ـ قد يفيض الرضا من جانب الله ، ويغمر من لدنه العفو ، وقد يشمل بإحسانه القاصر والمقصر ، والغافل والمتذكر ، ويهب العاصين للمطيعين ، والمذنبين للمستغفرين ، ثم يدخل عباده فى ساحة رضوانه أجمعين .

نعم ! ! ولكنه ـ سبحانه : ـ علمنا أن الأمل لا يغنى عن العمل ، والرجاء لا يجدى مع الكسل ، وقد أهاب بنا إلى طاعته ، فحق علينا أن نستجيب لدعوته .

فأما العفو المطموع فيه فمن شأن ربك ؛ وقد وعد العاملين المخلصين ، وهو أعلم بالسرائر ، وأدرى بالنوايا . . وكرمه أوسع من أن يضيق بالرجاء ، وهو لا يخلف الميعاد .

(للحديث بقية)

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

تدارك

وقع اشتباه فى المقال السابق بعدد رجب ، إذ أننى ذكرت (ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم) والصواب (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) الآية فأرجو التنبه مع الشكر .

مكتبتنا العربية

السنة

٣ - التطهير في الإسلام

مبايعات النساء على التطهير - مكان المرأة في الإسلام - هل تستعيد المرأة سيرتها الأولى؟ - التطهير بالمحن والبلايا حتى يحسن ستر العورات !؟ - القول الفصل في مبايعات الصوفية - دعوة إلى إصلاح الطرق.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ: أَلَّا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا يَعْضَهَ بَعْضُنَا بَعْضًا [1] فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ.

رواه الشيخان واللفظ لمسلم.

* * *

رجحنا في صدر البيان لهذا الحديث أن المبايعة على التطهير من هذه الموبقات الست كانت بعد فتح مكة، وبعد نزول آية الممتحنة «يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك»، فبايع النبي ﷺ النساء، ثم بايع الرجال على وفق مبايعتهن اقتداء بالقرآن الكريم.

وكنا سقنا في كل من المقالين السابقين لفظ البخاري لهذا الحديث في كتاب الإيمان،

---

(١) أي لا يرميه بالعضيهة وهي البهتان والكذب، فالجملة هنا معنى الجملة الأخرى «ولا تأتوا ببهتان يفترونه بين أيديكم وأرجلكم».

مكتبتنا العربية

لأنه أوفى الروايات وأدلها على فضل هذه البيعة والمبايعين ؛ ثم بدا لنا فى هذا المقال الأخير أن نختار رواية مسلم فى كتاب الحدود ، تأييداً لما رجحناه ، وتمهيداً لذكر مبايعات النساء ومكانهن فى الإسلام . .

لقد بايعن الرسول ﷺ وبايعهن غير مرة : فى مكة بعد الفتح ، وفى المدينة ، أخرج الإمام مالك فى موطئه عن أميمة بنت رقيقة [1] رضى الله عنها أنها قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة بايعنه على الإسلام ، فقلن يا رسول الله : نبايعك على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك فى معروف ؛ فقال رسول الله ﷺ : فيما استطعتن وأطقتن ، قالت فقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، هلم نبايعك يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة .

وممن بايعنه بمكة ، صلوات الله وسلامه عليه ، هند بنت عتبة زوج أبى سفيان ، ففى حديث أسماء بنت زيد قالت : كنت فى النسوة المبايعات وكانت هند بنت عتبة فى النساء ، فقرأ ﷺ عليهن الآية ، فلما قال «على ألا يشركن بالله شيئاً» ، قالت هند : وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله من الرجال ؟ ! فلما قال : «ولا يسرقن» قالت : والله إنى لأصيب الهنة من مال أبى سفيان لا يدرى ، أيحل لى ذلك ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من شىء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال ، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها ، فقال لها : وإنك لهند بنت عتبة ، قالت : نعم ، فاعف عما سلف يا نبى الله ، عفا الله عنك ؛ فقال « ولا يزنين » ، فقالت : أو تزنى الحرة ؟ تعنى أن الحرة لا تزنى أو لا ينبغى لها أن تقترف هذه الفاحشة ! فإنها لا يتردى فى بؤرتها إلا الأمة وأشباهها من الساقطات ، وإلا فليس يخفى على مثلها أن ذوات الرايات فى الجاهلية كن حرائر ! فقال : « ولا يقتلن أولادهن » ، فقالت : ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً ! تعنى ما كان من أمر ابنها حنظلة بن أبى سفيان ، فإنه قتل يوم بدر ، فضحك عمر حتى استلقى ، وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويروى أنها قالت : قتلت الآباء وتوصينا بالأولاد ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ولا يأتين ببهتان » ، فقالت : والله إن البهتان لأمر قبيح ، ولا يأمر الله تعالى إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ؛ فقال : « ولا يعصينك فى معروف » ، فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا

(١) بقافين مصغرة كابنتها ، وفى بعض النسخ رقية وهو تحريف .

مكتبتنا العربية

أن نعصيك فى شىء . ولم يرو عن امرأة من المبايعات على كثرتهن ما روى عن هند فى جرأة مراجعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة تعقيبها عليه ، وإذا صحت هذه الجرأة فى المراجعة فلحداثة عهدها بالجاهلية ، مع حدة فى اللسان وقوة فى الجنان ، ثم لكان ابنة زوجها أم المؤمنين رملة [١] ، رضى الله عنها ، من النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

واحتفال القرآن العظيم والنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بمبايعة النساء وتعليمهن وإرشادهن والاستماع إليهن ، ثم مبايعة الرجال على مناهجهن - أعظم دليل على إنقاذ المرأة من وهدتها ، وإعلاء الإسلام لمكانتها ، والسمو بها إلى أوج العزة والكرامة ، بعد أن كانت من سقط المتاع !!

ولو أن المرأة عرفت فى الإسلام مكانتها ، لشكرت نعمة الله عليها ، بالتزام حدوده وآدابه ، واستمساكها بهديه وكتابه ، ولكنها بدلت نعمة الله كفرا ، فسلبت نعمة المعرفة والهداية . وتخبطت فى متاهة الضلالة والغواية ، فلم يكن عجبا - وقد ركبت رأسها ، ومشت مكبة على وجهها - أن تبيع ما ملكها الإسلام من ملك عظيم ، ببهرج من المدنية الكاذبة ، وزبرج [٢] من الحضارة الفاتنة الصاخبة ، حتى خسرت نفسها ودينها ومكانها جميعاً !!

بيد أن باب التوبة مفتوح على مصراعيه لمن شاءت أن تثوب إلى رشدها ، وتتطهر من رجسها ، وتنظر بنور الإسلام إلى تاريخها ، مستعينة بالله تعالى أن يعيدها سيرتها الأولى .

* * *

وبعد فقد بينا فى المقال السابق درجات الناس فى التطهير من الموبقات ، وضربنا أروع الأمثال بأناس جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وذكرنا فيمن ذكرنا أناساً لم يقدروا على تطهير أنفسهم جهرا ، أو قدروا ولكنهم آثروا ستر الله ، فطهروا أنفسهم فيما بينهم وبينه سرا ، رأوا أنه تعالى ستير يحب الستر ، وأنهم ما كان لهم أن يكشفوا ستر الله عنهم وقد سدله عليهم وجللهم ، فبابوا الله ضارعين باكين ، منفقين مستغفرين ، مستكثرين من الصالحات والخيرات ، مطمئنين إلى أن الحسنات يذهبن السيئات .

---

(١) كنيتها أم حبيبة ، وأمها صفية بنت أبى العاص بن أمية عمة عثمان رضى الله عنه .

(٢) البهرج . الباطل ، والزبرج الزينة والذهب والسحاب اه نهاية .

مكتبتنا العربية

ومن شكر نعمة الله تعالى على عبده فى ستر فضائحه ومساويه - وما أعظمها من نعمة - أن يستر عورة أخيه ، ويعف عن ذكرها ما استطاع إلى الستر سبيلا ، فقد روى أبو داود والنسائى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال ، قال رسول الله ﷺ : من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة . وفى حديث مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه : « ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » ، ولكن لا يحسن الستر إلا على ذى مروءة تعد هفواته ، ويرجى منه الخير وقبول النصيحة ؛ وأما من لا يرعوى عن غيه ، ولا يبالى نصح الناصحين ، ولا هداية الهادين ، فإن الستر عليه لا يزيده إلا غيا وضلالا !.

وآخرون أراد الله بهم خيرا فعجل عقوبتهم فى الدنيا بما ابتلاهم من ضروب المحن والبلايا، حتى يلقوا ربهم مطهرين أبرارا . فقد روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة . وروى الترمذى أيضا عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وروى الشيخان عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب[1] ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه . وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه لما نزلت : « من يعمل سوءا يجز به » ، بلغت من المسلمين مبلغا شديدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة ، حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها .

* * *

وإنما تكون النكبات والمصائب - على اختلاف ضروبها - مطهرة ومكفرة ، إذا صبر المصاب عند الصدمة الأولى ، راضياً بقضاء الله وقدره ، مؤمناً بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ فإن أمر المؤمن كله له خير : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له . ومن آثار عمر رضى الله عنه : الصبر

---

(١) النصب : التعب ، والوصب : المرض .

مكتبتنا العربية

والشكر مطيتان لا أبالى أيهما ركبت . يبين ، رضوان الله عليه ، أن شأن المؤمن فى كل أحيانه أن يتنقل من خير إلى خير ومن أجر إلى أجر .

ولا يقدح فى الإيمان والصبر والرضا أخذ المصاب بالأسباب المشروعة من التداوى والسعى وما إليهما ، بل ربما كانت واجبة يثاب عليها ولا يجوز التهاون فيها وكل من عند الله ، وكل بقضاء الله حتى العجز والكيس . وللتفصيل مقام غير هذا . .

فإذا جزع العبد ولم يرض بقضاء الله تعالى كان كل ما أصابه عقوبة معجلة فى هذه الدنيا : « ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

* * *

ولن يتم تطهر العبد إلا بتخليه عن التبعات والمظالم ورد الحقوق إلى أهلها ما استطاع إلى الرد سبيلا ، فإن عجز فليكثر من الاستغفار لهم ، والتصدق ـ ما استطاع ـ عنهم ؛ فإن ذلك أدنى أن يرضى الله ويرضى خصومه عنه ، وإلا فويل له ثم ويل له يوم يطالبه غرماؤه بديون لا قبل له بها ، ثم يكبه الله على وجهه وقد خسر الدنيا والآخرة !

إن ذلك هو المفلس الذى عناه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، حين سأل أصحابه فقالوا : هو من لادرهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار . رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

* * *

ذلك ، والصوفية وأرباب الطرق يعتمدون على أحاديث المبايعات فى مبايعاتهم المختلفة ، وأخذ العهود والمواثيق على المريدين فى التوجيه والسلوك . والقول الفصل فيما يعملون هم أو غيرهم من عمل ، أن يعرض على كتاب الله وهدى نبيه صلوات الله وسلامه عليه فما وافقهما فهو الرشد والهدى ، وما خالفهما فهو الغى والهوى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

لاجرم أن البيعة على الاستقامة والهداية وما جاء به النبى ، صلى الله عليه وسلم ، من أمر ونهى ، وورد وذكر ، وفرض ونفل ، من غير إرهاق ولا تنطع ، ولا تكاسل ولا تواكل

مكتبتنا العربية

ولا ذلة ولا مهانة — فهى تجديد لما بايع النبي صلوات الله وسلامه عليه أصحابه وأخذهم به ورباهم عليه ، وذلك من العهود المسئولة ، والأمانات المحمولة ، والعقود التى لا يوفى بها إلا القوى الأمين ، من أمثال هؤلاء النفر الذين يروى مسلم حديثهم عن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه فيقول : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟ وكنا حديثى عهد ببيعة ، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فبسطنا أيدينا ، وقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية ـ قال : ولا تسألوا الناس شيئا » ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه .

إن رجال الطرق فى مصر وغيرها من بلدان الإسلام ، كثرة ذات شأن وثروة ذات بال ، وهم مسئولون بين يدى الله والتاريخ عن تربية أتباعهم ، فعليهم أن يطهروا أنفسهم ويأخذوها بالتى هى أقوم ، وأن يكونوا قادة للناس يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويهدون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والهدى النبوى فيما يأتون ويذرون ، لا عصبية ولا هوى ، ولا ابتداع ولا انحراف . وإنما هو التعاون على البر والتقوى ، وإيثار الحق أينما كان .

وعلى ولاة الأمور من العلماء والحكام أن يعاونوهم ويهيئوا لهم أسباب الرشاد والسداد .

وقد علم الناس أن نفرا من أولى الفضل قد استجابوا فى هذه الأيام لدعوة طالما وجهها كثير من ذوى الغيرة الإسلامية لإصلاح هذه الطرق وتنقيتها مما يشينها من البدع والخرافات والانحراف عن دين الله الحنيف . وها هم أولاء ، ينتظرون ماوراء هذه الإجابة من خير ورشد وهداية إلى الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين [1] « والله المستعان » ، « وعلى الله قصد السبيل » .

طه محمد الساكت

---

(١) نرجو أن يكون لنا بحث فى إصلاح هذه الطرق فى مناسبة قريبة إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

التقليد والمحاكاة فى نهضتنا الحاضرة

ما يجب أن نقتبسه من مظاهر القوة والخير

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

تفضل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فخص « الأهرام » بهذا المقال الذى ننشره فيما يلى :

نحن الآن فى طور من أطوار التاريخ ، عزمنا فيه على أن نعالج أسباب ضعفنا ، وأن نأخذ إن شاء الله بجميع وسائل القوة ، لنعود كما كنا أمة صالحة سليمة الاتجاه سعيدة العيش محترمة من الأمم ، ومتبادلة معها صنوف المصالح والمنافع ، ومتعاونة مع الجميع على التقدم بالإنسانية إلى أهدافها العليا .

وأول ما ينبغى لنا تمييزه فى معالجة أسباب الضعف والأخذ بوسائل القوة ، أن نكون على بينة مما نأخذه عن غيرنا ، وما ينبغى لنا التمسك به من أصولنا ومبادئنا ، وما به قوام كياننا .

إن الإسلام يأمرنا أمرا دينيا بأن نكون أمة قوية بأخلاقها ، قوية بعلومها النافعة وصناعاتها التى عليها مدار العمران ، قوية باستعدادها العسكرى للدفاع دائما ، وفى أى لحظة عن كل ما لنا من حقوق ، وما نؤمن به من حقائق . فالأخذ بأسباب القوة من جميع هذه النواحى ، والاضطلاع بالعلوم اللازمة له من طبيعة وكيمياء وميكانيكا ورياضة واقتصاد وإحصاء ، فرض لازم على المسلمين ، لأن دينهم أمرهم بأن يكونوا أقوياء ، فأصبح ذلك واجبا عليهم ، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ومما ينبغى لنا فى هذه الأمور ألا نقتصر على المحاكاة والتقليد ، بل يجب أن نعد الأذكياء من أبنائنا وشبابنا للتقدم فيها ، حتى يكونوا من أئمتها المبتكرين وعلمائها المخترعين ، وقد وهبهم الله من الأهلية والذكاء وعظيم الاستعداد ما يساعدهم على ذلك فى سنوات قريبة إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

هذا هو الجد ، وبهذا تتم النهضة فنأخذ فى طريق الفلاح ، ونبلغ مقام الإمامة فى العلوم ، ونتأهل لما وراء ذلك مما استخلف الله به الانسانية الكاملة فى الأرض .

أما الأمور التى بها قوام كياننا والعمل بمبادئنا والرجوع إلى أصولنا ، فهذا مما لايجوز لنا محاكاة غيرنا فيه ، بل إن كل أمة تحترم نفسها وتعتز بكيانها ترتفع عن محاكاة غيرها فى أصولها ومبادئها ، وإننا لا نزال نذكر ما وقع فى انجلترا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن أعضاء حزب العمال فى وزارة تشرشل كانوا يطالبون بتجديد الانتخابات النيابية ، وكان تشرشل يحب أن يتأنى فى ذلك ، فكتب إلى مستر أتلى يقترح أن يستعاض عن تجديد الانتخابات بعمل استفتاء عام ، فأجابه مستر أتلى بكتاب لا يزال يرن صداه فى الآذان حتى اليوم ، إذ قال له فيه : « إن فكرة الاستفتاء « اختراع أجنبى » وليس من الخير أن يسمح له بدخول البلاد البريطانية » ولقد كان مستر أتلى على حق فى هذا ، لأن كل أمة ذات أصول ومبادىء تتصل بنظامها الخاص بها ، وبكيانها الذى تعتز به فى تاريخها ، لايجوز لها أن تفرط فى أصولها ومبادئها لتحاكى غيرها فى شىء من ذلك ، وهذا الاعتزاز بأصول الأمة ومبادئها من مظاهر قوة الأمة ، بل هو من وسائل تلك القوة ، أما التفريط فى ذلك والتلون بالألوان الغريبة ، فإنه من مظاهر الضعف ومن وسائله ، وهذه الحقيقة الاجتماعية قررها ابن خلدون فى مقدمة تاريخه وبرهن عليها ، ولا تزال من حقائق الاجتماع إلى الآن ، على أنه لو لم يكن هذا من حقائق الاجتماع ، فإن الإسلام حتمه على أهله وألزمهم بالتزامه ، وكان أسلافهم أقوياء يوم كانوا ملتزمين به ، ولو قيض الله لهذه الأمة علماء من أهل البصائر النيرة ، يدرسون ما عندنا من هذه الأصول والمبادىء دراسة علمية بلا تعصب ولا غرض ، لتبين لهم أنها هى المبادىء السليمة والأصول الصحيحة التى تقوى بها الأمة وترقى ، وأن التفريط فيها من مدارج الضعف وأعراض الانحطاط ، ونحن إذا عمدنا إلى التفريط فيها نكون متناقضين مع أنفسنا فيما نحاوله من أسباب القوة فى مرافقنا المادية من زراعية وصناعية واقتصادية وعسكرية وغير ذلك ، إذ لا معنى لذلك إلا الجمع بين أسباب الضعف وأسباب القوة فى وقت واحد .

إن هذه القاعدة المزدوجة ـ وهى الأخذ بكل ما وصلت إليه الأمم من علوم القوة والتقدم العمرانى وأسبابهما ، مع التمسك بالأصول والمبادىء الخاصة بنا والموروثة عن أسلافنا ـ هى التى ينبغى لنا أن نعمل بها فى أنفسنا أفرادا ، وفى بيوتنا وأسواقنا ومجتمعنا ودولتنا ، فالفرد منا يجهز نفسه وبيته بكل ما يحتاجه مما توصل إليه العلم ،

مكتبتنا العربية

كالأدوات الكهربائية والتليفون وأمثال ذلك ، وفى الوقت نفسه يتوقى كل ما لا يتفق مع آداب دينه ، كاختلاط النساء بغير محارمهن . وفى مصانعنا نستعين بكل ما وصل إليه العلم من آلات دقيقة وسريعة لننافس الأمم بتقدمنا وجودة إنتاجنا ، وفى الوقت نفسه نتعامل مع عمالنا وعملائنا بكل ما أرشد إليه ديننا من رفق وتراحم وتعاون وإخلاص وأمانة وحفظ المواعيد ، وتمسك بالعهود وتجنب لنقيصتى البخل والإسراف والمحاباة والاجحاف . وفى مجتمعنا نتحرى المبادىء والقواعد والأصول الخاصة بنا فى كل ما نحاوله من تنظيم وعمل مع ما نحرص عليه من أسباب القوة والتقدم والنجاح ، ليتصل حاضرنا بماضينا ، ولنكون به قدوة لمن يأتى بعدنا من الاجيال .

إن النهضة التى تقوم على هذين الأساسين هى النهضة الصادقة الثابتة الخطى ، الوثيقة الدعائم ، وهى التى تتقبلها الأمة بالاستبشار ، لأنها توافق مصلحتها وتتفق مع راحة ضمائرها ، وتكون بذلك فى عبادة ، لأنها جمعت بين سعادة الدنيا وفضائل الدين .

أما الذين يشغلون الأمة عن سعادة الاستعداد للنهوض بالتعرض لأمور تراها الأمة ماسة بأصول ومبادىء عزيزة عليها ، وهى فى الوقت نفسه لا دخل لها فيما نحن آخذون به للنهوض بالمرافق الصناعية والزراعية والعسكرية ، كمحاولة محاكاة الأمم الأجنبية فى نظام الأسرة وشئون الزواج والأمور الشكلية كالأزياء وما إليها ، فإن ذلك كله ليس من مصلحة الوطن ، ولا خير فيه لهذه الأمة ، وهى فى هذا الطور العظيم من أطوار نهوضها وتقدمها .

ومما ينبغى لجمهور الأمة أن يكون على علم به أن كل ما طرأ علينا من عدوى أجنبية فى حياتنا الاجتماعية ، كالإضراب عن الطعام احتجاجا على أمر من الأمور ، أو الإضراب عن العمل لاختلاف بين العمال وأصحاب الأعمال ، فإنه مما لا يليق ببلد إسلامى ، لأن الإضراب عن الطعام انتحار ، والانتحار يسخطه الله ، وصاحبه يبتعد عن حياة الدنيا وحياة الرضا فى الآخرة ، والإضراب عن العمل قتل للوقت وسخط للرزق ، وتعطيل لمصالح الأمة ، وما دامت أبواب العدل مفتوحة ، ومرافق الدولة مستعدة للنظر فى الشكاوى والتوفيق بين المصالح ، فذلك هو الطريق للوصول إلى الحقوق العادلة ، وإن هذا الشرق الإسلامى فى حاجة إلى أن يأخذ عن غيره أسباب القوة ، لا وسائل التعطيل والانتحار . ومن أدق موازين الحكم على الوعى القومى والنضوج الاجتماعى مراقبة ما تأخذه الأمة عن غيرها من خير ، وما تتجنبه مما لا خير فيه ، ونحن اليوم فى هذا الطور من أطوار التاريخ ، والتاريخ يراقبنا فى هذا الامتحان ليرى ما نأخذ وما ندع .

مكتبتنا العربية

أزمة الفقه الإسلامي

نظرية السبب في العقد

(تتمة)

١ — ذكرنا فيما سبق أنه يجب أن نعمل على استخلاص النظريات الفقهية التي تندرج تحت كل منها طائفة عديدة من التفريعات والأحكام التي نعرفها في الفقه، وبهذا يتغير الفقه الإسلامي في منهجه وطريقة عرضه، ويأخذ في طريقه إلى التقدم.

ورأينا في الكلمة السابقة لهذه، أن نعرض لنظرية السبب في العقد أو الالتزام، وذلك من باب التطبيق لما ندعو إليه؛ ولنؤكد للعلماء بالقانون أن العلماء بفقه الإسلام وأصوله لم يغفلوا هذه الناحية في بحوثهم، وإن كانوا لم يصلوا إلى وضع نظرية عامة فيها.

وانتهينا في تلك الكلمة من الحديث عن تعريف السبب ومعانيه وما يراد به في الفقه، واليوم نتكلم عن الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ليكون سبباً صحيحاً شرعاً يجب رعايته، ثم عن حكم التصرف المجرد عن السبب، وبذلك يتم البحث.

٢ — ونحب أن نؤكد من أول الأمر أن الفرق كبير جداً، فيما يتصل بشروط السبب الصحيح وتطبيقاتها، بين الفقه والقانون. فالشريعة الإسلامية، وهي تقوم على رعاية الصالح العام للفرد والمجتمع، تتدخل حين يجب التدخل للحد من حرية المتعاقدين، ومن ثم لا تجيز من العقود إلا ما لا يتنافى مع الأخلاق الطيبة والمصلحة العامة للمجتمع، على حين نرى القانون يجعل «العقد شريعة المتعاقدين»، ومن ثم لا يتدخل في حريتهما إلا بقدر محدود.

حقيقة إن من القواعد القانونية أن ما يخالف النظام العام والآداب باطل، وأنه لا يوجد الالتزام إلا إذا كان له سبب حقيقي ومشروع، وأن السبب يكون غير مشروع إذا حرمه القانون أو كان مخالفا للآداب والنظام العام، وأنه يجب أن يتوفر في السبب أن يكون موجوداً وأن يكون مشروعا[1]. كل هذا حق، ولكن شيئا منه لم يمنع أن يجوز

---

(١) نظرية الالتزام في القانون المدني المصري، للأستاذ الدكتور حشمت أبو ستيت، ص ١٦٦، ١٧٠.

مكتبتنا العربية

قانونا ما كان من استئجار الدور للدعارة فى مصر وغيرها ، ولا يزال يحصل حتى الآن بكل أسف من استئجار الدور لتكون مباءة للخمر والميسر ، إلى نحو هذا وذاك من العقود التى لا يقر أسبابها خلق أو دين أو شريعة فاضلة .

٣ — هذا ، والشريعة الإسلامية ، التى تقدر أن الأعمال بالنيات ، وأن الأمور بمقاصدها ، توجب أن يتوفر فى سبب العقد شروط ثلاثة :

(ا) ألا يكون واجباً على أحد طرفى العقد بدون العقد .

(ب) أن يظل قائماً حتى يتم تنفيذ العقد .

(ج) أن يكون مشروعاً حقاً .

وهذه الشروط الثلاثة نستخلصها من كلام الفقهاء فى أبواب كثيرة من الفقه ، وكذلك من بحوث الذين عنوا منهم بقواعد الفقه العامة ، مثل ابن رجب الحنبلى وابن جزى المالكى . ولم يكن هؤلاء الفقهاء نظريين ، بل كانوا عمليين يضعون الحلول لما يعترض فى الحياة من مشاكل ومسائل ، ولذلك نجد فى ثنايا كتب الفقه وقواعده كثيراً من التطبيقات لتلك الشروط .

٤ — فمن تطبيقات الشرط الأول أنه لا يكون صحيحاً أن يستأجر إنسان خادمه أو زوجته على عمل هو واجب على أحدهما ، لأن عقد الإجارة فى هذه الحالة لا سبب له .

ولذلك يذكر الإمام الزيلعى أنه لا يجوز استئجار الأم لإرضاع طفلها إذا كانت فى عصمة زوجها (أى الأب) أو فى عدته ، « لأن الإرضاع مستحق عليها ديانة ... فلا يجوز أخذ الأجرة عليه . ولهذا لا يجوز أن تأخذ الأجرة على خدمة البيت من الكنس وغيره ، وإنما لا تجبر عليه لاحتمال عجزها فعذرت ، فإذا أقدمت عليه ظهرت قدرتها فلا تعذر » ، إلى آخر ما قال [١] .

٥ — ولو كان للعقد سبب من أجله أقدم عليه المتعاقدان ، ثم زال هذا السبب ، كان هناك حينئذ مقتض لفسخ العقد ، ولذلك مثل كثيرة تمدنا بها كتب الفقه ونكتفى هنا بذكر البعض منها [٢] :

---

(١) راجع شرح الزيلعى ، حـ ٣ : ٦٢ ـ ٦٣ فى باب النفقة .

(٢) يراجع فى هذه الأمثلة وغيرها ، البدائع للكاسانى حـ ٤ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ، حـ ٥ : ٢٢٤ وما بعدها ، القواعد فى الفقه الاسلامى ، لابن رجب ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢

مكتبتنا العربية

(ا) استئجار مرضعة للطفل ، أو خادمة لخدمته وحده ، أو معلما لتربيته ، ثم يموت الطفل .

(ب) استئجار أرض للزراعة فانقطع الماء عنها أو صارت غير صالحة للزراعة لأى سبب من الأسباب .

(حـ) استئجار دار للسكنى فانهدمت أو صارت غير صالحة للسكن ، أو محل للتجارة ثم أفلس المستأجر أو اضطر لترك البلد التى بها المحل .

ففى هذه الحالات وأمثالها ، نجد سبب العقد قد زال وأصبح غير قائم ، والنتيجة لذلك انفساخ العقد وانتهاؤه فى رأى جمهرة الفقهاء ، ومن هذه الحالات المرأة تهب مهرها لزوجها طلبا لاستدامة العشرة بينهما ، ثم يطلقها ، فلها حينئذ الرجوع عن الهبة لزوال سببها .

٦ — ومن باب التطبيق للشرط الثالث وهو وجوب أن يكون للعقد سبب مشروع [1] نذكر هذه العقود [2] .

(ا) استئجار أحد المجرمين للإضرار بآخر ، بحرق بيته أو زراعته أو قتله مثلا .

(ب) بيع عصير العنب لمن يصنعه خمرا .

(حـ) بيع أدوات القتال لقاطع طريق أو لأهل الفتنة ، ومثل ذلك بيع أدوات الميسر والقمار .

(ء) تأجير دار للدعارة أو للعب الميسر أو لتكون حانة يباع فيها الخمر .

(هـ) الهدية لمن يتشفع للمهدى لدى أصحاب السلطان .

فهذه العقود ونحوها التى تقوم على سبب غير مشروع ، غير صحيحة فى رأى كثير من الفقهاء ، وما هذا إلا لعدم شرعية أسبابها .

٧ — بقى بعد ما تقدم ، أن نبحث بإيجاز التصرف المجرد عن سبب ، لنعلم هل يجب

---

(١) يوجب القانون ، كما عرفنا ، أن يكون للعقد سبب مشروع ، ولكن ما أعظم الفرق بين ما يعتبر مشروعا فى القانون وبين ما يعتبر كذلك فى الفقه الاسلامى .

(٢) راجع المحلى لابن حزم حـ ٩ : ٢٩ ـ ٣٠ ، الحطاب على خليل حـ ٤ : ٢٦٣ وما بعدها ، القواعد لابن رجب صـ ٣٢٣ .

مكتبتنا العربية

الوفاء بما يكون فيه من التزام أولا يجب ، وهنا نجد الله تعالى يقول فى سورة الصف : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » ، كما نجد الرسول ﷺ يقول : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذ وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » ، كما يقول : « وأى المؤمن حق واجب [1] » .

ومن أجل هذه الآيات والأحاديث التى ذكرناها ، يرى بعض الفقهاء أن من يعد غيره بشىء ، ولو بلا سبب إلا ابتغاء الثواب من الله تعالى ، يجب عليه أن يفى بما وعد ؛ وإلا كان من الذين يقولون مالا يفعلون ، وكان فيه لذلك خصلة من خصال النفاق الثلاث .

٨ — وهنا نجد العلامة ابن حزم الأندلسى المتوفى عام ٤٥٦ هـ ، ثم الإمام القرافى المالكى المتوفى عام ٦٧٣ هـ ، يتعرضان فى دقة وتحليل لمسألة الوعد (وهو نوع من أنواع التصرف المجرد) لبيان ما يجب الوفاء به منه وما لا يجب مطلقاً .

لقد استعرض الأول آراء الفقهاء فى هذه المسألة ، فذكر أن أبا حنيفة والشافعى وداود بن على شيخ أهل الظاهر ، لا يرون أن الواعد يلزمه ـ شرعا وقضاء ـ الوفاء بما وعد ، بلا سبب . ولا فرق بين أن يكون قد أدخل من وعده فى كلفة أو لم يدخله ، وإن كان من الأفضل طبعاً أن يفى بما وعد ، ثم ذكر أن الإمام مالكا يرى أن الوفاء لازم فى الحالة الأولى فقط ، وأن ابن شُبرمة يرى أنه لازم فى الحالتين ، وانتهى إلى أن الوفاء غير لازم مطلقاً إلا أن يكون الواعد قد وعد بشىء واجب عليه ، وهذا مثل الإنصاف من دين أو أداء حق [2] .

أما الإمام القرافى ، فقد ذكر شيئا من اختلاف الفقهاء فى المسألة ، ثم قال [3] : « وجه الجمع بين الأدلة المتقدمة ، التى يقتضى بعضها الوفاء به وبعضها عدم الوفاء به ، أنه إن أدخله فى سبب ما يلزم بوعده لزم ، كما قال مالك وابن القاسم وسحنون ، أو وعده مقرونا بذكر السبب كما قاله أصبغ ، لتأكد العزم على الدفع حينئذ ، ويحمل عدم اللزوم على خلاف ذلك ، ومن الوعد المقرون بالسبب أن يقول إنسان لآخر : اهدم دارك وأنا أسلفك ما تبنى به ، اشتر هذه السلعة أو تزوج هذه المرأة وأنا أسلفك .

---

(١) الوأى : هو الوعد وزنا ومعنى ، وهذا الحديث رواه ابو داود ، انظر ابن حزم حـ ٨ : ٢٩

(٢) المحلى ، حـ ٨ . ٢٨ ، ٢٩

(٣) الفروق ، جـ ٤ : ٢٧

مكتبتنا العربية

٩ — ومن الواضح أن ما ذهب إليه الإمام مالك هو الصحيح ، نعنى وجوب الوفاء من الواعد إن تسبب بوعده فى إدخال الموعود فى كلفة ونفقات ، وعدم وجوبه - إلا فى شرعة الأخلاق - إن لم يكن الأمر كذلك .

وأخيراً ، هذه هى نظرية السبب فى العقد والالتزام ، عرضناها بإيجاز كما يمكن أن تستخلص من أقوال الفقهاء فى كثير من أبواب الفقه . ولم نرد بذلك أكثر من تقرير أن الشريعة الإسلامية لم تغفل هذه الناحية الفقهية ، كما لم تغفل شيئا مما يتمدح به رجال القانون فى هذه الأيام ، وما علينا ، نحن ورثة أولئك الأسلاف العظام ، إلا أن نعنى بدراسة الفقه دراسة تاريخية مقارنة من ناحية ، ثم العمل على استخلاص النظريات التى يمكن أن تنتظم أحكامه وفروعه المنثورة هنا وهناك ، وحينئذ نكون قد قمنا بعملية « التركيب » ، بعد أن قام أولئك الأسلاف رضوان الله عليهم بعملية « التحليل » والتفريع .

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق
بجامعة فؤاد الأول

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

****

من أقوال أناتول فرانس

* من الحسن أن يكون القلب ساذجاً والفهم غير ساذج .
* من الحمق العظيم أن تحتقر خطراً يهددك .
* فى الهموم تسلية عظيمة .
* ينشأ الخطأ عن ضعف فى الخلق ، أكثر مما ينشأ عن ضعف فى الإدراك .
* كل تبدل يطرأ علينا - وإن تمنيناه كثيراً - يورث حزنا وغماً ، لأن ما نتركه جزء منا ، وينبغى أن نموت فى حياة لندخل فى حياة أخرى .
* لكل صورة شعرية معان عدة ، فأى معنى وجدته ، كان عندك معناها الحقيق .

مكتبتنا العربية

لغويات

استدراك

عرضت فى جزء جمادى الآخرة ١٣٧٢ من هذه المجلة للعبارة الشائعة « اختر بين كذا وكذا » وقد خرجت من البحث إلى أن هذه العبارة لا سند لها فى العربية ولم يرد مثالها . وقد وجدت مثيلاتها فى صيغة تساوق « اختار » من مادتها ، وهى « تخير » ، فيقال : تخير بين كذا وكذا ، ويقال على نسق هذا : اختار بين كذا وكذا . ويراد من التخير والاختيار حينئذ الترجيح بين الأمرين أو الأمور .

وتقول العرب فى هذا المعنى أيضاً : ميّل بين الأمرين ومايل . وفى اللسان (ميل) : « وتقول العرب : إنى لأميّل بين ذينك الأمرين وأمايل بينهما أيهما أركب ، وأمايط بينهما » . وشاهد ما أرمى إليه من ورود « تخير بين الأمرين » قول الكلحبة[1] :

يا كأس ويلك إنى غالنى خلق ... على السماحة صعلوكا وذا مال
تخـــيرى بين راع حافظ برم ... عبد الرشاء عليك الدهر عمال
وبين أروع مشمول خلائقه ... مستهلك المال للذات ، مكسال
فأى ذينك إن نابتك نائبة ؟ ... والقوم ليسوا - وإن سوّوا - بأمثال

كأس : بنته ، ولها يقول فى قصيدة مفضلية فى شأن فرسه :

فقلت لكأس أجمليها فإنما ... نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

و « غالنى خلق » أى أهلكنى ، وإنما أهلك ماله ، وقد راعى فى الخلق أن المرء مطبوع عليه فقال : « على السماحة » أى طبعى على السماحة . والصعلوك : الفقير لا مال له . والبرم :

---

(١) انظر نوادر أبى زيد ١٥٤

مكتبتنا العربية

الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر ، بخلا منه وشحاً بماله ، وهذا مذموم عندهم[1] . والرشاء : حبل الدلو . يريد بعيد الرشاء من همه الإسقاء والامتياح ، ولا يعنى بالغزو وهمّ السادة . والأروع : الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد . والمشمول الخلائق : كريم الأخلاق ، طيبها ، أخذ من قولهم : ماء مشمول ، وهو الذى هبت به ريح الشمال فبردته . وقوله : « مستهلك المال للذات » ، أى يبذل ماله ويفنيه فى سبيل لذاته من الخمر والنساء ، وكان ذلك مما يتمدح به العرب ، كما كان الكسل مدحا عندهم إذ يدل على النعمة والرفه . وقوله : « فأى ذينك » برفع « أى » ، وهو مبتدأ محذوف الخبر ، أى فأى ذينك خير . ويروى « فأى ذلك » بنصب « أى » وفعله محذوف أى فأى ذلك تختارين ، والإشارة على هذا بذلك إلى المذكور من الرجلين ، وقد أفرد نظراً لذلك كما فى قوله تعالى : « لافارض ولا بكر عوان بين ذلك » .

الطيارة أحد الأشياء المخترعة

المذياع إحدى الأدوات المستحدثة

« أحد » و « إحدى » من أسماء العدد . ولهما فى أغلب الأمر استعمالات واضحة لا تعقيب فيها . تقول : هذا الكتاب أحد الكتب النافعة ، وهذه الرسالة إحدى الرسائل الممتعة .

وقد تعرض لها فى بعض المواطن استعمالات تدعو إلى النظر ، كما فى المثالين المصدر بهما البحث . فهل تراعى المضاف إليه فتقول : الطيارة أحد الأشياء المخترعة ، أو المحدث عنه فتقول : الطيارة إحدى الأشياء ؟ وهل يقال : المذياع إحدى الأدوات المستحدثة ، أو أحد الأدوات ؟

والذى يبدو أن الأصل فى ذلك مراعاة المضاف إليه فى التذكير والتأنيث ، إذ كان أحد وإحدى بعض ما يضافان إليه . فاذا جاء الكلام على هذا الأصل فلا كلام فيه ، إذ جاء على الجادة وعلى طريقة الملحَّب . وإذا اختلف المحدث عنه - وهو بالموصوف بأحد

---

(١) المجلة - لأن الموسرين منهم كانوا يدخلون فى الميسر فى زمن القحط ، أو فى الشتاء إذا أقفرت الأرض من الكلأ والمرعى ، فيضربون بالقداح على الابل ثم يجزرونها ويطعمون منها فقراء القبيلة . فمن أبى من أغنيائهم أن يساهم فى ذلك نسبوه إلى الأنانية والشح .

مكتبتنا العربية

وإحدى - والمضاف إليه فى التذكير والتأنيث كما مر فى الأمثلة السابقة فلا ضير أن يراعى المحدث عنه ، فإذا قلت : رسالة الشافعى أحد الكتب الجليلة كان هو الأصل فى الباب ، ولك أن تقول : رسالة الشافعى إحدى الكتب ، فتأتى بإحدى نظراً للرسالة . وهذا بالقياس على الضمير والإشارة إذا اختلف مرجعهما مع ما بعدهما . تقول : قراءة العلم نافعة ، وهو أمر محمود ، وهى أمر محمود ، وتقول : الحنطة تزرع فى مصر ؛ وهذا غذاء جيد ، وهذه غذاء جيد .

وقد جاء من هذا قوله تعالى فى الآية ٧٨ من سورة الأنعام : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر » فترى أن اسم الإشارة فى الآية للشمس وهى مؤنثة ، وإشارتها « هذه » ، ولكنه أتى بالإشارة مذكراً نظرا للخبر وهو « ربى » . ويقول « الزمخشرى » : « فإن قلت : ما وجه التذكير فى قوله : هذا ربى والإشارة للشمس ؟ قلت : جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شىء واحد ، كقولهم : ما جاءت حاجتك ؟ ومن كانت أمك ، ولم تكن فتنتهم . وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ، ألا ترام قالوا فى صفة الله : علام ولم يقولوا : علامة ، وإن كان العلامة أبلغ ؛ احترازا من علامة التأنيث » . وقوله : ما جاءت حاجتك أى ما صارت ، وقد ورد نصب « حاجتك » على أنها خبر « جاء » ، واسمها ضمير ما . وقد أنث الاسم مع عوده على ما — ولفظها مذكر — نظراً لمعناها وأنها حاجة . وكذلك قولهم : من كانت أمك ، فاسم كان يعود على من ، ولولا أنه يراعى فيها أنها أم لذكر ضمير الاسم ، وهذا كله مبنى على أن الاسم يسرى إليه التأنيث من الخبر . وهذا يرجع إلى باب واسع فى العربية يترجم عنه بباب مراعاة المعنى . وقد أفرد له فى الخصائص بابا ذكر فيه أمثلة كثيرة . ومن مراعاة المعنى قوله تعالى فى الآية ٣٢ من سورة القصص : « أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه ، ويقول أبو حيان فى البحر ١١٨/٧ « فذانك ، إشارة إلى العصا واليد ، وهما مؤنثتان ، ولكن ذكر لتذكير الخبر ؛ كما أنه قد يؤنث المذكر لتأنيث الخبر ؛ كقراءة من قرأ : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا » بالتاء فى تكن » .

وقد جاء فى عيون الأخبار ٣ / ١٣٢ : « وسأل آخر قوما فقال : رحم الله امرأ لم تمجج أذناه كلامى ، وقدم لنفسه معاذا من سوء مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والحال مصعبة والحياء زاجر من كلامكم ، والعدم عاذر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين .

مكتبتنا العربية

ورحم الله امرأ أمر بمير ، ودعا بخير . فقال له رجل من القوم : ممن الرجل ؟ فقال : اللهم غفرا ! ممن لاتضرك جهالته ، ولا ينفعك معرفته . ذل الاكتساب يمنع من عز الانتساب » . والقارىء يرى فى قوله « الدعاء أحد الصدقتين » أنه راعى المحدث عنه ، ولو شاء لقال : إحدى الصدقتين ، نظرا للمضاف إليه . وقد جاء فى بعض الحديث : قلة العيال أحد اليسارين ، ولو جرى على ما جاء فى خبر الأعرابى السائل لقيل : إحدى اليسارين .

وقد وقعت مباحثة فى مسألة شبيهة بما نحن فيه بين علمين من أعلام النحو والعربية ، وهما السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ ، وابن خروف المتوفى سنة ٦١٦ . وقد كانا من محاسن الأندلس فى عصره الزاهر . وقد ساق هذه المباحثة الجلال السيوطى فى الأشباه والنظائر النحوية ٣/ ٩٩ ، وأورد الحجاج بينهما .

وحاصل المسألة أنه جرى فى عقد ذكور وإناث محجورين ، وكتب الكاتب فى الحديث عن أنثى : « إحدى المحجورين » ، فتناول الشيخان هذه العبارة ونظرا فيها من جهة العربية . ويرى السهيلى أنها خطأ ، ويرى ابن خروف أنها صواب .

ويعتمد ابن خروف على شواهد فى العربية روعى فيها المحدث عنه ، ولم يراع المضاف إليه فى أحد وإحدى . من ذلك قول النابغة :

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما ... واحتلت الشرع فالأجزاع من إضما
إحدى بلىّ وما هام الفؤاد بها ... إلا السفاه وإلا ذكرةً تُحُلما

فنراه يقول : إحدى بلى فى الحديث عن سعاد ، ولم يراع المضاف إليه وهو بلى . وكذلك قول العرجى :

عوجى علينا ربة الهودج ... إنك إلا تفعلى تحرجى
إنى أتيحت لى يمانية ... إحدى بنى الحارث من مذحج

ومما استدل به ابن خروف قوله تعالى فى الآية ٣٨ من سورة الأعراف : « حتى إذا ادارکوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار » ، فترى أن المضاف إليه أولى وأخرى جماعة الذكور ، وجاء أولى وأخرى مؤنثين نظرا إلى معناهما وأن الحديث بهما عن أمتين .

مكتبتنا العربية

ولا يرضى السهيلى ما ذهب إليه ابن خروف ، ويدفع احتجاجه بالبيتين بأن الكلام فيهما على حذف المضاف ، أى إحدى نساء بلى ، وإحدى نساء بنى الحارث ، وقد يدفع هذا ابن خروف بأن الأصل عدم التقدير ، ولا داعى إليه ما دام له وجه من التأويل .

ويدفع السهيلى احتجاج ابن خروف بالآية بأن المضاف إليه ضمير الأمم ، ومفرد الأمم أمة ، وهى مؤنث ، فلا شىء فى أولى وأخرى ؛ إذ يراد بهما الأمة ، وكأنه يرى أن التأويل فى الضمير المضاف إليه ، إذ جعل للذكور وهو للأمم نظراً للمعنى ، ولو روعى لفظ الأمم لقيل : أولاهن وأخراهن . ولابن خروف أن يقول : إن الأمم روعى فيهم التذكير ، فجاء ضميرهم ضمير جماعة الذكور ، فصار واحدهم حقه التذكير من هذه الجهة ، فكان حقه أن يقال : أول وآخر ، فلما جاء أولى وأخرى علم أن ذلك نظراً للمحدث عنه فيهما لا للمضاف إليه .

والقارىء يخرج من هذا بجواز ما صدر به البحث إن شاء الله .

محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

****

الزهـــــر

الزهر أحلى مخلوقات الله ، غير أنه لم يهب له نفساً ناطقة . هـ . و . بتشر

خلق الله الزهر زينة للأرض ، وتعزية للبشر . وأسعد الناس حظاً من يقرأ آيات الحكمة السماوية فى زهرة واحدة . وورد سورث

الزهرة كتاب فتحه الله أمام أنظار خلقه ليتعلموا منها اللطف والتسامح فى كل شىء ، حتى أنهم ليطأونها بأقدامهم فترفع لهم رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة . دى مونتغمرى

الأزهار كواكب الأرض ، والكواكب أزهار السماء . مسز بلفور

مكتبتنا العربية

حديث القرآن عن اللغو

ما أكثر الكلام بين الناس ، وما أهون شأنه على الثرثارين الفارغين ، وما أقل الأعمال الطيبة عند هؤلاء ، وخاصة فى المجتمعات الضعيفة المتحللة التى تقنع باجترار الألفاظ وترديد الكلام وتشقيق الأمانى ، وقد راعت هذه الحقيقة كثيراً من المصلحين والحكماء منذ أقدم العصور ، وجسمها أبو العلاء المعرى فى بيت موجع له ، فقال :

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا لما تحصل شىء فى الغرابيل !!

وللقرآن الكريم حديث عن « اللغو » له عظته وعبرته ، وفيه فائدته وثمرته ؛ ويحسن بنا قبل عرض الحديث القرآنى عن « اللغو » أن نستأنس بمعانى المادة الكثيرة المتقاربة فى معاجم اللغة .

فما جاء فى لسان العرب عن مادة « اللغو » قوله : « اللغو واللغا : السقط ، وما لا يعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . وعن الفراء : ولد الشاة المبيعة يسمى لغواً لأنه تبع لها ، ولا ثمن له مسمى . وقال الأصمعى : هو الشىء الذى لا يعتد به . وجماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . وكلمة لاغية : فاحشة ، وفى التنزيل العزيز : « لا تسمع فيها لاغية » هو على النسب ، أى كلمة ذات لغو ، وقيل أى كلمة قبيحة أو فاحشة . وقال قتادة : أى باطلا ومأثما . وقال مجاهد : شتما ؛ ونباح الكلب : لغو أيضا . وقال الفراء فى قوله تعالى : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » ، قالت كفار قريش : إذا تلا محمد القرآن فالغوا فيه ، أى اغلطوا فيه يبدل أو ينسى فتغلبوه . وإذا أمروا باللغو : بالباطل . ولغا فلان عن الصواب وعن الطريق : إذا مال عنه » .

وفى معجم « مقاييس اللغة » لابن فارس فى مادة « لغو » [1] هذه العبارة : « اللام والغين والحرف المعتل ـ الواو ـ أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على الشىء لا يعتد به ، والآخر على اللهج بالشىء . فالأول اللغو : ما لا يعتد به من أولاد الإبل فى الدية ، قال العبدى :

أو مائة تجعل أولادها لغواً ، وعرض المائة الجلد

[1] ج ٥ ص ٢٠٠ ط الحلبى .

مكتبتنا العربية

يقال منه لغا يلغو لغوا ، وذلك لغو الإيمان . واللغا هو اللغو بعينه . قال الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » أى ما لم تعقدوه بقلوبكم . والفقهاء يقولون : هو قول الرجل لا والله ، وبلى والله . وقوم يقولون : هو قول الرجل لسواد مقبلا : والله إن هذا فلان ، يظنه إياه ، ثم لا يكون كما ظن . قالوا : فيمينه لغو ، لأنه لم يتعمد الكذب .

والثانى قولهم : لغى بالأمر ، إذا لهج به ، ويقال إن اشتقاق اللغة منه ، أى يلهج صاحبها بها .

* * *

والقاعدة العامة التى نفهمها من حديث القرآن الكريم عن « اللغو » أن اللغو باطل ، وأمر قبيح مكروه ، لا يليق بالمسلم ولا يحسن منه ، وأن الله يبغض اللغو ويكرهه ، ويبعده عن ساحة عباده المكرمين فى الدنيا والآخرة ، وأن هذا « اللغو » سواء أكان قولا أم عملا من شأن الذين كفروا ، وأن المؤمنين يفرون منه ويعرضون عنه ، وأنهم إذا وقعوا فيه خطأ فإنما يقعون فيه عن طريق السهو والنسيان ، وسرعان ما يتذكرون ويرجعون ، ولذلك لا يحاسبهم الله عليه ولا يؤاخذهم به ، وأن الجنة - وهى موطن الراحة والتنعم - ليس فيها هذا « اللغو » ! . . . ولتوضيح ذلك نقول :

قال الله تبارك وتعالى فى الآية السادسة والعشرين من سورة فصلت : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » . وهذا هو المظهر الأول من مظاهر تنفير القرآن الكريم من اللغو ، إذ جعله عملا من أعمال الذين كفروا التى يتواصون بها ، فهى إذن أدخل فى باب الكفران والعناد من غيرها . ومعنى الآية الكريمة أن الكفار قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن الذى يتلوه محمد ، وتشاغلوا أثناء تلاوته عنه برفع الأصوات وإحداث الضجات وترديد الهذيان والخرافات ، حتى تخلطوا على القارىء ، وتغلبوه على قراءته ، وبذلك تغلبونه وتنتصرون . . وأى امرىء مسلم يقبل أن يلغو فيكون بغظة الإضافة إلى حمى هؤلاء ؟ . . .

وانظر — هديت الصواب — إلى الآية التالية للآية السابقة ، تراها إنذاراً مخيفاً لهؤلاء اللاغين ، ووعيداً مفزعاً لهم ، إنها تقول : « فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ، ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون » فصلت - ٢٧

مكتبتنا العربية

والله تبارك وتعالى يقول فى الآية الثالثة من سورة المؤمنون : « والذين هم عن اللغو معرضون » . وهـذا الوصف قيل فى شأن المؤمنين ، لأن السورة الكريمة بدأت هكذا « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون » ، وبالآية الثالثة هنا يبدأ المظهر الثانى من مظاهر تنفير القرآن من « اللغو » .

ولنتذكر هنا أن اللغو هو مالا يعنى من قول أو عمل ، وأن « اللسان » يقول إن جماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . فكأن القرآن يقرر حقيقة من حقائق النفس المؤمنة التى لا تكون مؤمنة إلا بها ، وهى إعراضها عن اللعب والهزل والباطل من القول والفعل ، وكل ماتوجب المروءة إلغاءه وإطراحه ، لأن النفس المؤمنة تجد من ميادين العمل المثمر والسعى الواجب ما يشغلها عن لغو القول والعمل .

ونلاحظ كيف وصف الله المؤمنين أولا بالخشوع فى الصلاة ، ثم بالإعراض باللغو ، ليجمع لهم بين الفعل والترك الحميدين الشاقين على الأنفس ، الذين هما قاعدتا بناء التكليف ، لأن هـذا التكليف لا يخرج عن الأوامر والنواهى ، والأوامر تطالب بأعمال تؤدى ، والنواهى تحذر من أمور تترك . وإنه لشأن جليل أن يوضع الوصف بالإعراض عن اللغو هنا ، وقبله ذكر الصلاة وبعده ذكر الزكاة ! . .

ويلحق بهذا الموطن قوله تعالى فى الآية الثانية والسبعين من سورة الفرقان : « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » ، وهذه آية من آيات فى وصف « عباد الرحمن » ، ومعناها أن عباد الرحمن هم الذين يتباعدون عن مجالس الكذب والبهتان من القول فلا يشهدونهـا ولا يقربونها ، تنزها عن مخالطة الشر ومصاحبة أهله ؛ وإذا مروا باللغو — وهو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح — أو مروا بأهله ، مروا معرضين عنهم ، مترفعين بأنفسهم عن مشاركتهم ؛ وقد يدرك الذوق البيانى شيئاً من جمع شهادة الزور مع اللغو ؛ فلا يحسبن خاطىء أن أمر اللغو ميسور ، بل إن إتيانه واعتياده من أخطر الأمور .

ويقول الله تعالى فى الآية الخامسة والخمسين من سورة القصص : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين » . والحديث عن عباد الله الطيبين . وسلام عليكم ، أى توديع لكم ومتاركة[1] . وعن الحسن : هى كلمة

---

(١) استفدنا من الكشاف فى معانى الآيات .

مكتبتنا العربية

حلم من المؤمنين . ولا نبتغى الجاهلين ، أى لا نريد مخالطتهم أو صحبتهم . وما أشد التعريض حينما يقول القرآن عقب هذه الآية : « إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين » ، القصص — ٥٦

* * *

ويقول الله تبارك وتعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم » البقرة ٢٢٥ ؛ ويقول أيضاً فى الآية التاسعة والثمانين من سورة المائدة : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ، وهنا يأتى الموطن الثالث من مواطن تنفير القرآن من اللغو ، فاللغو من الأيمان والأقسام هو الساقط الباطل الذى لا يعتد به ولا يتعلق به حكم ، ولا عقد معه ؛ ولما كان باطلا وليس داخلا فى همة المسلم أو قصده ، وليس مما يحسن به الالتفات إليه أو الاعتماد عليه ، جعله الله لغواً ، وعفا عنه فيما يعفو عنه ، والله غفور حليم .

وقد أفاض المفسرون والفقهاء الحديث عن لغو اليمين ، وتعددت آراؤهم فيه تعدداً مبيناً ، ولكنك تستطيع أن تلمح فيها بسهولة جامعاً يجمع بين أغلبها ، وهو عدم القصد لهذه اليمين ، وعدم عقد القلب عليها أو اعتبارها من كسب المرء المراد له ، وإنما هى فلتات اللسان أو هزات الغضب أو توابع الخطأ والسهو والنسيان ؛ وإليك ما نعرفه من وجوه اختلاف العلماء فى تحديد اللغو :

عن ابن عباس : هو قول الرجل فى درج كلامه واستعجاله فى المحاورة : لا والله ، وبلى والله ، دون قصد لليمين . وعن عائشة : أيمان اللغو هى ما كانت فى المراء والهزل والمزاح والحديث الذى لا ينعقد عليه القلب . وعن أبى هريرة : إذا حلف الرجل على شىء لا يظنه إلا أنه إياه ، فإذا ليس هو ، فهو اللغو ، وليس فيه كفارة ؛ وروى أن قوماً تراجعوا القول عند الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يرمون بحضرته ، فحلف أحدهم قائلا : لقد أصبت وأخطأت يا فلان ، فإذا الأمر بخلاف ذلك ؛ فقال الرجل : حنث يا رسول الله . فقال النبى : « أيمان الرماة لغو ، لا حنث فيها ولا كفارة » ، وعن سعيد بن المسيب : هو يمين المعصية ، كالذى يقسم ليشربن الخمر ، أو ليقطعن الرحم ؛ وبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه ، وقيل إن الحجة فى ذلك قول الرسول كما فى سنن ابن ماجة : « من حلف على يمين

مكتبتنا العربية

فرأى غيرها خيراً منها فليتركها ، فإن تركها كفارة » . وعن ابن عباس : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان ، وذلك لقول الرسول كما فى صحيح مسلم : « لا يمين فى غضب » . وعن سعيد بن جبير : لغو اليمين تحريم الحلال ، مثل مالى على حرام إن فعلت كذا . وعن زيد بن أسلم : لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه ، مثل أعمى الله بصره ، أذهب الله ماله . وعن مجاهد : هما الرجلان يتبايعان فيقول أحدهما : والله لا أبيعك كذا . ويقول الآخر : والله لا أشتريه بكذا . وعن النخعى : هو الرجل يحلف ألا يفعل الشىء ثم ينسى فيفعله . وعن ابن عبد البر : اللغو أيمان المكره . وعن ابن العربى : أما اليمين مع النسيان فلا شك فى إلغائها ، لأنها جاءت على خلاف قصده ، فهى لغو محض . وقال الضحاك : لغو اليمين هى المكفرة ؛ أى إذا كفرت اليمين سقطت وصارت لغواً . .

الأقوال كثيرة كما ترى ، والجامع بين أكثرها أنها غير معتبرة أو مقصودة ، فهى لغو ، ولا يؤاخذ صاحبها عليها ، والله هو ذو المغفرة ، وأقرب الآراء إلى القبول هنا هو القول الأول ، أى ما يحدث فى درج الكلام واستعمال المحاورة . .

* * *

ثم يأتى الموطن الرابع من مواطن تنفير القرآن عن اللغو ، وتصويره له بصورة الشىء المكروه المرغوب عنه . فالجنة وهى دار الثواب والتنعم ، وهى محل الزينة والمتعة ، تخلو من « اللغو » ، وكأن فى هذا إشارة بليغة من القرآن ، ورمزاً دقيقاً للمؤمنين الطالبين لنعيم الجنان ، بأن يتجنبوا لغو القول ولغو العمل ، حتى فى لهوهم وتمتعهم وسمرهم ، لأن الجنة وهى مثلهم الأعلى فى المتاع والنعيم خالية من هذا اللغو الذى لا يليق . يقول الله تبارك وتعالى : « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما ، إلا قيلا سلاما سلاما » الواقعة - ٢٥ ، ٢٦ .

أى لا يسمعون فى الجنة شيئاً من اللغو أو التأثيم ، ولكن يقولون ويسمعون : سلاما سلاما ، أى يفشون السلام بينهم ، فيسلمون سلاما بعد سلام . ويقول : « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » مريم - ٦٢ ، أى لا يسمعون فضول الكلام وما لا طائل تحته ، ولكن يسلمون سلاما ، ويأتيهم رزقهم فيها رغداً صباحا ومساء ، ويتكلمون كلاما يسلمون فيه من النقيصة والعيب .

ويقول : « لا تسمع فيها لاغية » الغاشية - ١١ ، أى لا تسمع فيها لغواً ، أو كلمة ذات لغو ، أو نفسا تلغو ، إذ لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على مارزقهم من النعيم الدائم

مكتبتنا العربية

ويقول : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا » النبأ - ٣٥ . أى لا يكذب بعضهم على بعض ، ولا يكذب بعضهم بعضا . ومن الممكن أن نلحظ من طريق الذوق اقتراب اللغو من الكذب ، إذ اجتمعا فى موطن واحد .

ويقول : « يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » الطور - ٢٣ ، حتى الخمر فى الجنة ليس فيها لغو . أى يتعاطى المؤمنون ويتبادلون هم وجلساؤهم وإخوانهم كأسا من الخمر لا لغو فى شربها ؛ فلا يتكلمون أثناء تناولها بسقط الحديث أو ما لا نفع فيه ، كما يفعل اليوم المجرمون الآثمون المتنادمون على الشراب فى عربدتهم وسفههم ، ولا يأتون إثما كالكذب أو الشتم أو الفواحش ، وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن ، متلذذين بذلك ، لأن عقولهم ثابتة ، وهم علماء حكماء .

وهكذا ينزه الله عباده عن اللغو حتى فى الآخرة ، وهى الدار التى لا تكليف فيها ، نعوذ بالله من الخوض فيما لا يعنينا من قول أو عمل .

وقد يكون من مقتضيات الحال أن نعرف شيئاً عن استعمال كلمة « اللغو » فى الحديث النبوى الشريف . يقول ابن الأثير فى كتاب النهاية : « قد تكرر فى الحديث ذكر لغو اليمين ، قيل هو أن يقول لا والله ، وبلى والله ، ولا يعقد عليه قلبه ، وقيل هى التى يحلفها الإنسان ساهياً أو ناسياً ، وقيل هو اليمين فى الغضب ، وقيل فى المراء ، وقيل فى الهزل ، وقيل اللغو سقوط الإثم عن الحالف إذا كفر عن يمينه . يقال : لغا الإنسان يلغو ، ولغى يلغى ، إذا تكلم بالمطَّرَح من القول وما لا يعنى وألغى إذا أسقط ... وفيه : من قال لصاحبه والإمام يخطب : أنصت فقد لغا . والحديث الآخر من مس الحصا فقد لغا ، أى تكلم ، وقيل عدل عن الصواب ، وقيل خاب ، والأصل الأول وفيه : والحمولة المائرة لهم لاغية ، أى ملغاة ، لا تعد عليهم ، ولا يلزمون لها صدقة ، فاعلة بمعنى مفعلة ، والمائرة : الإبل التى تحمل الميرة ، ومنه حديث ابن عباس أنه ألغى طلاق المكره أى أبطله ، وفى حديث سلمان : إياكم وملغاة أول الليل . الملغاة مفعلة من اللغو والباطل ، يريد السهو فيه ، فإنه يمنع من قيام الليل » .

أما بعد ، فاللغو فى القول والعمل شىء قبيح باطل ، وقد صوره القرآن بصورة منفرة فى جميع أحواله وليس من شأن المسلم أن يألفه أو يميل إليه ، فلنسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى الجد ، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل .

أحمد الشرباصى
مبعوث الأزهر الى الكويت

مكتبتنا العربية

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

« كانت مجلة « الفتح » هي المجلة الإسلامية الوحيدة التي زفت البشرى إلى العالم الإسلامي ، بشروع الشاعر الإسلامي الأكبر أحمد محرم ، في نظم ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية ، وقد نشر بها الفقيد القصيدتين الأوليين منه ، ثم حملنا العبء من بعده ، فوصلنا ما انقطع من النشر بمجلة « الرسالة » حتى شاء لها الله أن تحتجب .

فاليوم نبدأ من حيث انتهينا في « الرسالة » بنشر الديوان ، على صفحات « مجلة الأزهر » الغراء ، والأزهر ، كان وما يزال ، أحق الهيئات برعاية هذا الأثر الإسلامي الفريد » .

مصرع أبي جهل

ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء ، من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود ، وكان سيف ابن مسعود كليلا . فقال له أبو جهل : خذ سيفي فاحتز رأسي به ، ففعل . وقال له وهو يعلو صدره يحتز رأسه : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا . لو غير أكار قتلني (الأكار الزارع) ، وكان الأنصار أهل زرع . وقد أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه :

بسيفكَ فيما اخترتَ من عاجلِ القتلِ ... سُقيتَ ذُعافَ الموت ، فاشرب (أباجهل)
هو السيفُ ، لولا الجبنُ لم يمض حده ... ولم يرض في جدِّ الكريهةِ بالهـــزل
شهدت الوغى ، تبغي على الضعف راحةً ... لنفسك من حقد مذيب ومن غل
أ (فرعونُ)[1] إن تجهل فلن تجهلَ الوغى ... (فراعينَها) من ذي شبابٍ ومن كهل
أصابك فيها ما أصابك من أذًى ... وفاتك ما نال (الرُّويعيُّ) من فضل
رماك (معاذٌ) قبله و (معوَّذ) ... وجاءك مشبوباً حميَّتُه تغلي

---

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن أبي جهل : إنه فرعون هذه الأمة .

مكتبتنا العربية

سقى السيفَ عفواً من دم لك طيِّع ... فمن (مرتقٍ صعبٍ) إلى مستقٍ سهلِ
دع الهزلَ يا (ابنَ الحنظليَّة) إنه ... هو الجدُّ كلُّ الجد لو كنت ذا عقلِ
هى (اللاتُ والعزَّى[1]) أضلَّتك هذه ... وزادتك هذى من ضلالٍ ومن خبلِ
مضى جائرُك المأفونُ[2] خزيانَ وانقضت ... حِبالُك فانظر هل ترى الآنَ من حبلِ[3]؟
لقد كنت ترجو أن ترى (الطِّبلَ) الذى ... رضيتَ به رباً يفوزُ ويستعلى
أصبت (ابن مسعودٍ) سناءً ورفعةً ... وباء عدوُّ الله بالخزْى والذلِّ
فخذ سيفَه ، ثم ارفع الصوتَ شاكرا ... فما بعدَ ما أعطاك ربك من سُؤْلِ

* * *

سواد بن غزية

كان سواد بن غزية حليف بنى النجار من أفراد الجيش فى هذه الغزوة ، فرآه النبى صلى الله عليه وسلم خارجا عن الصف وهو يعدل الصفوف ، وكان بيده سهم فطعنه به فى بطنه وقال له : استو ياسواد . فقال : يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأعطنى القصاص . فكشف الرسول الكريم عن بطنه وقال : « استقد » أى خذ قودك ، وهو القصاص ، فاعتنقه سواد ، وقبل بطنه الشريف :

(يومُ بدرٍ) وأنت أعلى مُقاما ... إن ذكرْنا من بعدِك الأياما
ما ذكرنا بك القواضبَ يقْظى ... أنت أيقظتها شُعوبا نياما
غرِقتْ فى الظلام لا تحسَبُ البغْـ ... ـىَ ذميما ، ولا الفسوقَ حراما

---

(١) كان المسلمون يقولون فى هذه الوقعة : « الله مولانا ولا مولى لكم » . وكان أبو جهل يقول : « لنا العزى ولا عزى لكم » .

(٢) تمثل إبليس فى صورة سراقة بن مالك للمشركين وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، وكانت يده فى يد الحارث بن هشام أخى أبى جهل ، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده ، ثم نكص على عقبيه . فقال له الحارث . يا سراقة ، أتزعم أنك جار لنا ؟ قال : إنى برىء منكم ، إنى أرى مالا ترون . إنى أخاف الله . فتشبث به الحارث وقال والله لا أرى إلا خفافيش يثرب . قال الحارث : ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت .

(٣) لما قتل رؤساء المشركين . قال أبو جهل : يا قوم ، لا يهولنكم قتل من قتل ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالجبال ، لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد .

مكتبتنا العربية

تكرهَ العـــدلَ فى الحقوق وترضى حين يأبى ساداتُها ـــ أن يُقاما
استقمْ يا (سَوادُ) فى الصف واعلمْ أنَّ للجيش فى الحروب نظاما
يالها يا (ســـواد) طعنة سهم صادفت منكَ أريحيًّا شهاما
لو يُريدُ الأذى بها لم تطِقْها من يعاف الأذى ، ويأبى العُراما
عدّل الصفَّ فاستوى ، وقضى الأمـــــر على شرعة الهُـــدى فاستقاما
إنها شِرعـــةٌ لربِّك يمضيـــــها فتهـــدى الشعوبَ والأقواما
تمنع المرء ذا البراءة أن يؤ ذى وتحمى الضعيف عن أن يُضاما
وتُريه القويَّ يذعن للحـــــق ويبغى بجانبيه اعتصاما
قلت : أوجعتنى ، وقد جئت بالحـــــق وبالعـــدل رحمـــةً وسلاما
القصاصَ القصاص ، إنى أراه يا (إمام الهـــداة) أمراً لزاما
قال : هذا بطنٌ لبطنك كفؤٌ فاستقد إن للضعيف ذماما
طابت النفس يا (سوادُ) وعاد الآ ن برداً ما كان منها ضرَاما
واعتنقتَ (الرسولَ) بعد شكاة فاعتنقت الخلال غـــراً وسَاما
وابتدرتَ (البطن المطهرَ) لثمًا فابتدرتَ الخيرات شتى عظاما
هاهنا العدلُ والسماحةُ والإحـــــسان أعظِمْ بذا المقام مَقاما
أدّب اللهُ (عبدَه) وهـــداه واصطفاه للمتقينَ إماما
أىّ دين كدينه فى علاه ! أىّ قـوم كالمسلمين القُدامَى ؟
أرأيت الضعاف فى كل أرض كيف أمسوا للأقوياء طعاما
حرّمـوا الطيبات بغياً وظلماً واستحلوا الذنوبَ والآثاما ؟
ربِّ إنْ شئتَ للشعوب حياةً فابعث المسلمين والإســـلاما
إبعث النورَ فى الممالك ، يهدى كلَّ شعبٍ غوَى ، ويمحو الظلاما

مكتبتنا العربية

إمام

مع القارىء الفاضل فى إمام كان واحداً من ستة انتهى إليهم علم الإسلام فى أزهى عصوره ، كما كان من قبل، سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم غيرهم . إمام من أئمة الهدى والفضل كان أشبه الناس بمحمد ﷺ فى هديه وسمته ودله [1] كان محبوبا : يشهد إذا غاب الناس ، ويؤذن له إذا حجب الناس ، ملك فى زى مسكين ، وقوى بلا عشيرة من الأقربين ، وهاد خطير وهو عند المحجوبين من المستضعفين رفعه العلم والاستقامة ، وتألق نجمه بالجد والاستدامة ، أشرق نور الحق فى قلبه غلاما منذ رأى صاحب الرسالة يباركه الله باليسر والرعاية ، فترك شأنه كله ولزمه حتى انطبعت فى نفسه معارف الوحى من الكتاب والحكمة وحتى صار لا يفرق بينهما إلا ما خص الله به نبيه فى شخصه من الرسالة ، وفى نوعه من النسب العريق والجمال فى الخلق . فكان محمد رسولا ونبياً ، وكان هو معلماً ووليا ، وكان محمد فى نسب وحسب من قومه وآبائه ،وكان نسبه وحسبه فيما أفاد من محد من دينه وإبائه وكان محمد جميلا لا يدرك جماله ، وكان جماله فيما أخذ عن محمد من رفقه ودله وسمته ومنطقه .

وجدير بك أيها القارىء الكريم أن تدرس سيرة هذا وأمثاله - وقليل ما هم - ليؤتيك الله سبحانه تقوى تكمل بها نقصك . ودينا تحفظ به عقلك ، وخلقاً ترفع به شأنك . ورياضة نفسية تحجزك عن كثير من الشهوات والشذوذ . وتتجه بك إلى الجد المنشود ، والحق الرفيع ، والمجد الذى لا يدرك . ذلك أن النفس حيث تضعها أنت . وهى تصدأ كما يصدأ الحديد فتنزل إلى الدرك الأسفل وتستعصى على الرفعة (وهى خير لها) حتى تجلو صدأها بذكرى الرجال وتواريخ المجاهدين العاملين ، فعند ذلك تلتمس سمواً بما خلقها الله له فتخرق الحجب ، وتأبى إلا أن تقر فى السماء ذات البروج .

---

[١] الدل : مايكون على المرء من سكينة وسمت .

مكتبتنا العربية

وبعد فذلك هو « عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى ، حليف بنى زهرة الذى كان يرعى الغنم لعقبة بن أبى معيط ، حتى رأى محمداً فشرح الله للإسلام صدره ، ولزم باب أمير الأنبياء ، وأسلم نفسه له يلقنه من القرآن والعلم والحكمة ما شاء ، وشهد مع السيد الرسول جميع المشاهد فحاز الفضل من أقطاره حتى صار مرجع العلماء ، وموضع تبجيل الأمراء والكبراء ، وتخيره عمر - وهو من تعلم فى تخيره ودقته - تخيره قاضياً على الكوفة ومعلماً ووزيراً ، لعلمه الفياض وحكمته ، وتخيره أميناً على بيت المال لما استفاض من أمانته ، حتى عزله عثمان أيام الفتنة ، وهو أطوع ما يكون ، وأبعد الناس من الفتنة ، وصار إلى المدينة موضع التعزيز والهداية لأمة محمد حتى كانت وفاته بها سنة ٣٢ عن بضع وستين سنة .

كان عبد الله نحيفا قصيراً تكاد الجلوس توازيه . تقتحمه العين ، ويزدريه أهل الشرك ، حتى ذكروا أن أبا جهل خاطبه وهو يجهز عليه فى بدر فقال : لقد رقيت مرقى عاليا يا رويعى الغنم ! ولكنه لما اتصل بصاحب الرسالة وترك الدنيا إيثاراً لصحبته ، وإخلاصا له ، وطلبا لما عنده من فضل وعلم ودين ، أعزه الله وأعلاه وفضله .

روى أبو نعيم وغيره بأسانيدهم إلى عبد الله بن مسعود قال :

« كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط بمكة ، فأتى علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال : ياغلام ، عندك ابن تسقينا ؟ فقلت : إنى مؤتمن ولست بساقيكما فقال : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ فأتيتهما بها . فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا ، فحفل الضرع ، فحلب وشرب هو وأبو بكر . ثم قال للضرع: أقلص [1] فقلص . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علمنى من هذا القول الطيب فقال رسول الله : إنك غلام معلم . فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد » .

هذه بداية عبد الله بن مسعود فى الإسلام ، فما ظنك برجل تكون هذه بدايته . لهذا كان عبد الله يعتد بتلك الناحية فى مزاياه ، ويدعو الناس إلى الأخذ بقراءته ، ويعجب من أمر من يترك روايته ويأخذ بقراءة زيد فيقول « عجباً للناس وتركهم قراءتى وأخذهم بقراءة زيد

---

[1] من قلص الظل يقلص قلوصا . انقبض .

مكتبتنا العربية

وقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد بن ثابت صاحب ذؤابة يجىء ويذهب بالمدينة » .

لزم عبد الله رسول الله يأخذ عنه القرآن والدين ، وخالطه مخالطة جعلت من لا يعلم أمره يرى أنه من أهله .

أخرج الشيخان والترمذى بأسانيدهم إلى أبى موسى الأشعرى قال :

« قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حينا وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة دخولهم على رسول الله ولزومهم له » .

وقد استفاضت الأخبار أن عبد الله وفق فى هاته الناحية أيما توفيق ، فكان خادما مخلصا أمينا ، وتلميذا حاذقا رشيدا . كان صاحب سر رسول الله ووساده ، وعصاه وسواكه ، وطهوره فى سفره . وبلغ من خدمته وإخلاصه أنه كان يلبسه النعل إذا قام ، ثم يمسك بعصاه فيسير بها أمامه ، فإذا عاد إلى مجلسه خلع نعله فوضعها فى كم قميصه ، فإذا قام إلى بيته سار أمامه حتى يدخل الحجرة قبله لا يمنع ولا يحجب كما أمره رسول الله وأمر له . ثم يوقظه إذا نام ويستره إذا اغتسل ويفتديه بنفسه فى أحرج الأوقات .

ذلك وهو يسمع ما يقول محمد وما يقال له ، ويتقبل تعليماته وشرائعه . وهل خدمه إلا ليفيد منه الدين واليقين ؟ لهذا يقول فى لغة المعتد الواثق فى مجمع الأصحاب « ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطايا لأتيته[1] » .

ويقول أبو وائل راوى هذا الخبر : إننى كلما سمعت ابن مسعود يقول ذلك والقوم شهود قمت إلى الحلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت أحداً من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه .

ولقد كان فى ابن مسعود من سابقة الجهاد والجلاد التى هى صفحات مشرقة لكل من عرف بها وفى تعزيزه ذلك بالدين واليقين والخلق الكريم والنفع المستديم ما يخول له أن يعتد بنعمة الله ، ويذكرها فى مناسبات الفرض . وفى مواقف التوفيق . أليس هو الذى

---

[١] أسد الغابة وطبقات ابن سعد وحلية الأولياء فى ترجمة ابن مسعود .

مكتبتنا العربية

زاحم عمر بن الخطاب - وربما سبقه - إلى إظهار الدعوة والجهر بها فى قوم يضطهدون دعوة الإسلام بتجمعهم على الباطل ، ويضاعفون الأذى لكل من أظهر كلمة الله والحق ولا سيما إذا لم يكن من قومه فى عشيرة تزوية ومنعة تحميه ؟ إن ذلك الإشراق جدير ألا تمحوه الأيام ، ولا تنساه الأجيال .

ذكر صاحب أسد الغابة فيما ينقله عن أصوله بالسند الى عروة بن الزبير عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود . اجتمع يوما أصحاب رسول الله فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا . فقالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه . فقال : دعونى فإن الله سيمنعنى . فغدا عبد الله حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها ، حتى قام عند المقام فقال رافعاً صوته : « بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن » . فاستقبلها فقرأ بها . فتأملوا فجعلوا يقولون : ما يقول ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا فجعلوا يضربونه فى وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذى خشينا عليك . فقال : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غدا . قالوا : حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون . بخ لك يابن أم عبد ، لقد فزت بها نفساً سخية كريمة تستذب فى سبيل الله العذاب ، وتستهين فى مرضاته بجميع الصعاب .

جدير بعبد الله إذا أن يكون موضع العلوم والمعارف فى هذه النفس الخصيبة العظيمة ، وأن يقدره الناس جميعاً قدره ، حتى عمر بن الخطاب الذى قل أن سلم من سوطه أو نقده ، والخلاف عليه كثير من الناس .

لقد كان حافظاً للقرآن على وجهه ، يستمع إليه الرسول ويعجب بقراءته ، وكان مفسراً للقرآن عارفا بمعانيه ، يدرسه بالمدينة وبالكوفة بعد أن أوفده عمر إليها ، فيخرج بها كبار التابعين من سلف هذه الأمة ، وكان راوياً للسنة ينقل عنه البخارى ومسلم وغيرهما الكثير منها ، وتحصى الرواة له ثمانمائة وثمانين حديثاً مع تحرجه من الرواية خشية التبديل فى كلام السيد الرسول ، ترتعد فرائصه إذا روى أو نقل عنه ، ولهذا كان يفتى ، ويقول بنفسه على مقتضى علمه ، وقد أخذ عنه كثير من أجلاء الصحابة كحبر الأمة عبد الله ابن عباس وابن

مكتبتنا العربية

عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، وروى عنه كثير من أجلاء التابعين كعلقمة وأبي وائل والأسود ومسروق [١] .

وكانت له يد طولى فى الفقه والاستنباط والقياس ، كما كان عمر بن الخطاب وبعض الصحابه الذين يستثمرون الكتاب والسنة ويحكمون فى غير ما ورد على قياس ما ورد ، خلافاً لبعض المتحرجين من الصحابة كعبد الله بن عمر وغيره ، وجدير بمن كانت له ثمرة يانعة من المنقول وثروة ضخمة من المأثور وعقل راجح وقلب مشرق ونفس أمينة كعبد الله أن تكون له ملكة تقوم رأيه وتنضح فقهه .

قال أبو البخترى : أتينا علياً فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ ، فقال : عن أيهم ! قلنا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة وكفى به علماً ، قلنا : حدثنا عن أبى موسى ، قال : صبغ فى العلم صبغة ثم خرج منه . قلنا : حدثنا عن عمار بن ياسر . قال مؤمن نسى ، وإذا ذكر ذكر . قلنا : حدثنا عن حذيفة . قال : أعلم أصحاب محمد بالمنافقين . قلنا : حدثنا عن أبى ذر . قال : وعى علماً ثم عجز فيه . ثم قلنا : حدثنا عن سلمان . قال : أدرك علم الأول والآخر ، بحر لا ينزح قعره . قلنا : فأخبرنا عن نفسك . قال : إياها أردتم ، كنت إذا سألت أعطيت ، وإذا أمسكت ابتدئت .

ولو كان المقام يتسع للتعليق . . ولكن المقصود شهادته لعبد الله بن مسعود بأنه أوتى علم الكتاب والسنة وكفى به . قال ذلك وهو يعلم ما كان عليه ابن مسعود من الفقه والاستنباط والقياس فدل على أن ذلك لا يخرج عن علم الكتاب والسنة . ولله أمير المؤمنين وإدراكه .

ولعلك إذا علمت أن علم الكتاب والسنة لم يكن رواية فقط وإنما كان رواية وإدراكا يقسم الله فيه الحظوظ بين العباد لفهمت هذا المعنى فى مثل عبد الله بن مسعود حق الفهم .

قال عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله ابن مسعود أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات من النبى لم يتجاوزها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل .

---

(١) أسد الغابة .

مكتبتنا العربية

وانظر شهادة الخريت العليم المحدث عمر بن الخطاب له وإعجابه به إذ أرسله إلى أهل الكوفة وقال لهم : إنه من النجباء والنقباء من أصحاب محمد ، فاسمعوا له ، وقد آثرتكم به على نفسى .

وقال زيد بن وهب : إنى لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود فضحك حين رآه فجعل يكلم عمر ويضاحكه ، ثم ولى فأتبعه عمر بصره حتى توارى وجعل يقول ، كنيف ملىء علماً ، .[1]

وقد كان لك ، ولما عرف الناس له مما استفاض من معارفه ، كان لذلك أثره فى تلقى الناس عنه والتزامهم كنفه .

وفيما انتشر من علم الدين بالكوفة ، فإنه لم ينزل بها من الأئمة إلا على وابن مسعود ، أما على فقد شغله ما نعلم من سياسات وحروب وخلافات ، وأما ابن مسعود فهو الذى قدم إليها لهذه الغاية ، قدم إليها قاضيا ومعلما وأمينا على بيت المال فقط ، فخرج أئمة العلم بها من أهل الفقه والاستنباط ممن يقول فيهم سعيد بن جبير : كان أصحاب عبد الله سرج هذه الأمة .

ومن عجيب الحكمة أنه كان سادس ستة فى الإسلام أولا ، وكان واحدا من ستة فى العلم ثانيا ، وكان أستاذ أئمة ستة فى الكوفة آخرا . وهم علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل . أولئك الذين خلفوه بحركة كبيرة فى العلم صارت تتوارث حتى توجت بأبى حنيفة تلميذ حماد تلميذ النخعى تلميذ علقمة تلميذ عبد الله بن مسعود .

ذلك بعض فضل عبد الله فى العلم والمعرفة ، أما مزاياه النفسية والخلقية ، وعباراته الحكمية والأدبية ، وإرشاداته الرياضية فلها مقام آخر إن شاء الله .

محمود النواوى

---

[١] تصغير كنف وهو الوعاء .

مكتبتنا العربية

حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام

- ٢ -

العدالة الاجتماعية

١ — تقرير ضرورات المعيشة : من تكريم الله لبنى آدم أن تصان هيئتهم باللباس والنظافة والزينة ، وأن يحملوا فى حلهم فى المساكن ، وأن يحملوا فى ترحالهم بوسائل المواصلات ، وأن ينالوا من طيبات المطعم والمشرب ، وهذا مفهوم من قول الله تعالى فى سورة الإسراء « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ولقد أمر الإسلام بعدم قتل النفس والإلقاء باليد إلى التهلكة . والطعام فيه حفظ النفس . كما أمر بستر العورة وأخذ الزينة . وهذان الأمران لا يكونان إلا باللباس . ولقد حدد الله للباس أن يوارى السوءة وأن يقى من الحر - وأيضاً من البرد - يقول تعالى « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم » (سورة الأعراف) . وقال تعالى فى سورة النحل « وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر » . وقال تعالى فى سورة الأعراف « خذوا زينتكم عند كل مسجد » . كذلك تحدث القرآن عن السكن . قال تعالى فى سورة النحل « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم » وقال تعالى عن وسائل المواصلات ما ورد فى سورة الإسراء « وحملناهم فى البر والبحر » . وفصلت آيات أخرى الحديث عن أنواع من مواصلات البر وعن الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام .

كل هذه النعم التى كرم الله بها بنى آدم لا بد أن توفر لهم ليحيوا حياة طيبة ولير الله نعمته عليهم . ولقد كان الرسول ﷺ يحب أن يرى الإنسان فى أحسن تقويم خلقه الله فيه . روى أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم أن أبا الأحوص الجشمى روى عن أبيه قال : رآنى النبى ﷺ سيىء الهيئة فقال : هل لك من شىء ؟ ؟ قلت : نعم - من كل المال قد آتانى الله . قال : إذا كان لك مال فليرعليك[1] . وروى النسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) النسائى حـ ٨ ص ١٩٦

مكتبتنا العربية

رأى قوما يظهر عليهم جهد الفاقة ، فتغير وجهه الشريف وطلب إلى الناس أن ينفقوا ليعطى هؤلاء . ثم وقف فقال « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ... إلى آخر الحديث »[1]

٢ — وسائل الحصول على هذه الضرورات : وللحصول على هذه الضرورات وسائل متعددة تندرج فى أصلين كبيرين : العمل ، والتأمين الاجتماعى :

(ا) العمل : العمل فى الإسلام حق للفرد وواجب عليه فى الوقت نفسه ، إذ لا يباح للفرد أن يعيش على التسول أو السلب والنهب . ودولة الإسلام واجبها الأول أن تهيء العمل للقادرين عليه وأن تحمى حقوقهم وأن تراقب أداءهم لواجباتهم . وليس واجبها فقط كما يزعم البعض أن توزع الإعانات والصدقات لأنها تربى الناس على الإباء والكرامة لا على البطالة والهوان . يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى لرجل درهمين وقال له « كل بأحدهما واشتر بالآخر فأساً واعمل به » وروى البخارى وغيره أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب اليه أن يدبر حاله لأنه خال من وسائل الكسب ولا شيء عنده يستعين به على القوت . وهنا ذكر الرواة كلاما آخر قالوا بعده : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بقدوم ودعا بيده من خشب سواها بنفسه ووضعها فيهما ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان عينه وكلفه أن يعمل هناك لكسب قوته وطلب اليه أن يعود بعد أيام ليخبره بحاله ، فعاد الرجل يشكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ويذكر له ما صار اليه من يسر الحال . فالعاطلون كانوا يرون أن لهم حقوقا على الدولة ، فيذهبون إلى ولى الأمر أعزاء باسم هذه الحقوق ليدبر لهم أمرهم بما يراه ، والدولة تقر العاطلين على هذه الحقوق وتدبر لهم العمل فوراً بل وتتلمس نتائج عملها . ولقد أوجب الغزالى فى « الإحياء » أخذاً من هذا الحديث على ولى الأمر أن يزود العامل بآلة العمل . ومن بركات العقيدة هنا أن التماس العمل يسميه الإسلام ابتغاء من فضل الله بما يزيد الإنسان حرصاً عليه . يقول تعالى « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » « علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله » .

والدولة إذ تدبر للعامل عمله فإنها تحمى حقوقه فى الأجر ، فينبغى أن يكون الأجر كافياً . وقد جعل الحديث ثالث الثلاثة الذين يخاصمهم الرسول ﷺ يوم القيامة : رجلا

---

(١) النسائى حـ ٥ ص ٧٥ - ٧٧

مكتبتنا العربية

استأجر أجيراً فاستوفى منه فلم يعطه أجره . وهذا الأجر لا يقبل المماطلة ففى الحديث « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »[١] ، كذلك ينبغى أن يراعى تحديد ساعات العمل بما يلائم الطاقة الإنسانية . وفى الحديث أوامر عامة بالرفق والرحمة تنسحب بلا شك على هذه الناحية . وقد صحح السيوطى ما رواه أبو يعلى وابن حبان والبيهقى فى شعب الإيمان « ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك فى موازينك يوم القيامة » .

(ب) التأمين الاجتماعى : فإذا تعطل إنسان عن العمل ، أو كان أجره لا يكفيه لزيادة فى أفراد أسرته أو عجز عن العمل لمرض أو شيخوخة فهو فى كفالة الجماعة فى صور شتى : فى كفالة الأسرة التى ينتمى إليها إذ يأمر الشرع بالنفقة وصلة الأرحام ، وفى كفالة المجتمع الذى يعيش فيه فقد قال ابن حزم أخذا من الحديث « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » : من تركه يجوع ويعرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسلمه ، وهو أولا وأخيراً فى كفالة الدولة التى تلتزم بنفقاته من بيت المال أولا ، وتنظم بسلطة الحكم واجبات أسرته والمجتمع الذى يعيش فيه إزاءه ثانيا ، ولذلك قال عمر بن الخطاب « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين »[٢] جاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف أن عمر بن الخطاب رأى شيخا يهوديا يتكفف الناس فسأله عن سبب ذلك فأجاب : أسأل الجزية والحاجة والسن . قال : ما أنصفناك أكلنا شبيبتك وتركناك عند الشيخوخة . وطرح جزيته وأمر أن يعال من بيت مال المسلمين هو وعياله.[٣]

هذا التأمين الاجتماعى فى حالة التخلف عن العمل أو عدم كفاية الأجر واجب لابد منه ، يقول ابن حزم « فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكاة بهم ، ولا فى سائر أموال المسلمين ما يقوم بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة »[٤] .

بل إن الإسلام يرخص للفرد ما هو أكثر من ذلك فى سبيل هذه الحقوق الاجتماعية إذ يعتبره فى حالة دفاع شرعى عن نفسه ما دام يجد فضل مال عند واحد من الناس . قال

---

[١] رواه ابن ماجه وأبو يعلى والطبرانى والحاكم . قال المنذرى (يكتسب بكثرة طرقه قوة)
[٢] المحلى حـ ٦ ص ١٥٧ [٣] الطبرى حـ ٥ طبعة الحسنية ص ٣٣
(٤) المحلى حـ ٦ ص ١٥٦

مكتبتنا العربية

ابن حزم « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمى، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . . . - إلى أن قال - : ومانع الحق باغ على أخيه الذى له حق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانع الزكاة [١] » . وقد تناول التشريع الجنائى الحديث موضوع عقاب مرتكب جريمة القتل بطريق سلبى . وفى رأى الإمام الدردير المالكى فى كتاب (الشرح الكبير على متن الخليل) « يضمن من يترك تخليص مستهلك من نفس أو مال قدر على تخليصه بقدرته أو جاهه أو ماله فيضمن فى النفس الدية وفى المال القيمة ، ومن ترك إنساناً يموت جوعا أو عرياً وهو يقدر على تخليصه فإنما يكون قد قتله بطريق الترك أيضاً .

ولقد كانت الدول الإسلامية تحمل رسالة ضمان الحقوق الاجتماعية حين تنشر رايتها على أى قطر . وهذا خالد بن الوليد يتحدث عن سياسته فيما غاب عليه فيقول « . وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام » [٢] ، بل إن للإسلام ضرباً فريداً فى التأمين الاجتماعى وهو تأمين الناس على ديونهم ، فمن مصارف الزكاة أن توجه الى « الغارمين » لنسد ديونهم وتفرج كروبهم . وهكذا تصرف الدولة اهتمامها إلى حفظ كيان هؤلاء . بدلا من أن تصرف هذا الاهتمام إلى ترتيب الإجراءات الخاصة بشهر إفلاسهم كما يجرى الآن . ومن مآثر عمر بن الخطاب أنه أقام دور الضيافات وأدر عليها الأرزاق . عن ابن سعد قال . اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة فى الطريق ما يصلح من ينقطع به ، كما فعل ذلك بالطريق بين الشام والحجاز [٣].

٣ — التعليم : طلب العلم فى الإسلام فريضة [١] ، فهو حق للفرد وواجب عليه . والدولة تلتزم تهيئة السبيل إليه ، ذلك أن الإسلام لا يكتفى بضمان الضرورات المعيشية المادية ، بل يضمن أيضاً وسائل التثقيف والتهذيب . ولقد كان الرسول ﷺ يرسل إلى الجهات المختلفة من يبصر الناس بالإسلام فأرسل مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية . وفى خبر بئر معونة أرسل عليه الصلاة والسلام سبعين شابا

(١) المحلى ٦ ص ١٥٩ (٢) عبقرية خالد ص ١٨٣ [٣] أشهر مشاهير الاسلام مجلد ١ ص ٣٧٨

مكتبتنا العربية

يسمون القراء إجابة لدعوة عامر بن مالك . وقد تكلف رسل الهداية هؤلاء حياتهم فى الطريق نتيجة عدوان وقع عليهم . وإن القرآن الكريم وخطب الجمعة والعيدين من وسائل التثقيف والتهذيب التى تضمنها الإسلام فى عباداته . وقد أتت النساء إلى رسول الله ﷺ شاكيات من غلبة الرجال على مجالسه ويطلبن منه وقتا يخصص لهن ليتعلمن فيه ، فأجابهن الرسول ﷺ إلى ذلك [٢] . وفى غزوة بدر خرج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ... وقال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين فكان زيد بن ثابت ممن علم [٣] .

فالإسلام إذ شرع إقامة الحدود فقد شرع معها توفير الحقوق وترقية المستوى المادى والأدبى . يقول تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويبتغ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » . فلابد من أن يبين للناس الهدى ويبصروا بسبيل المؤمنين حتى يتحملوا تبعة أعمالهم ويتولوا مسئولية مشاقتهم لأوامر الله ورسوله .

٤ — العلاج : ومن تمام واجبات الدولة أن تتكفل بعلاج المريض ، والأمر بعيادة المريض منبث فى كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد التزم عليه الصلاة والسلام أن يهيء للمرضى مكاناً يتداوون فيه وينقهون . فى سيرته المطهرة أن نفراً من عرينة - ثمانية - قدموا عليه فأسلموا ، واستوبأوا المدينة وشكوا ألم الطحال فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه ، وكان سرح المسلمين بذى الجدر ناحية قباء قريباً من غير ترعى هناك - فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا ، وكانوا استأذنوه أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فأذن لهم . وإن كان هؤلاء قد قابلوا المعروف بالإساءة بعد برئهم فعدوا على اللقاح فاستاقوها [٤] .

وكان عمر بن الخطاب يحاسب ولاته على عيادة المرضى ، فكان الوفد إذا قدموا على عمر سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً . فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه ؟

---

(١) الحديث الذى روا ابن عبد البر عن أنس وصححه السيوطى

(٢) البخارى ج ١ طبعة منيرية ص ٦٠ - ٦١ (٣) إمتاع الأسماع للمقريزى ص ١٠١

(٤) إمتاع الأسماع ص ٢٧٢

مكتبتنا العربية

فإن قالوا الخصلة منها لا ، عزله[١] . ولقد مر يوم بجيشه الشام على قوم من المجذومين ففرض لهم شيئا من بيت المال ومنعهم بذلك عن التكفف بين الناس[٢] . واشتهر الوليد بن عبد الملك من خلفاء بنى أمية بعمله على تخفيف آلام المرضى وتخصيص أعطيات للمجذومين لمنعهم من سؤال الناس ، كما أعطى كل مقعد خادما يهتم بأمره ، وكل ضرير قائدا يسهر على راحته[٣] . وفى عهد أحمد بن طولون من حكام مصر فى العصر العباسى الثانى بنى ابن طولون فى مؤخر مسجده ميضأة وخزانة شراب بها الأدوية والأشربة ، وقرر لهذا المكان الخدم ، وعين طبيباً خاصاً يقوم بتطبيب المرضى من المصلين ، كما بنى مستشفى بأرض العسكر « المارستان » وأدخل فيه ضروبا من النظام تشبه ما فى أرقى المستشفيات الآن ، وكان يتفقده بنفسه فى يوم الجمعة فيطوف على خزانة الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء ويواسى المرضى[٤] .

٥ — مسئولية الدولة : هناك اتجاه فى تقرير حقوق الإنسان فى الوثائق الدولية والقواعد الدستورية إلى ألا يكتفى بتقرير الحقوق تقريراً سلبياً ، بل أن ينص على التزام الدولة بصفة إيجابية ضمان هذه الحقوق وتهيئة الوسائل لمزاولتها . فحق العمل وحق التعليم للأفراد يقترنان بواجبات على الدولة فى تهيئة موارد الكسب ومعاهد العلم .

والدولة الإسلامية من ذلك الطراز الذى يضطلع بواجبات إيجابية فى ضمان حقوق الأفراد . ولقد قدمنا كيف كان ولاة الأمور وعلى رأسهم النبى ﷺ فى عصره يتكفلون بتهيئة فرص العمل والعلم والعون الاجتماعى والعلاج للأفراد .

وقد علق المودودى على الآيات الكريمة « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فقال فى تعليقه عليها : — « فمن تدبر هذه الآيات اتضح له أن الدولة التى يريدها القرآن ليس لها غاية سلبية فقط ، بل لها غاية إيجابية أيضاً . أى ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة فحسب ، بل الحق أن هدفها الأسمى هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذى جاء به كتاب الله . وغايتها فى ذلك النهى عن جميع أنواع المنكرات التى ندد الله بها فى آياته ، واجتثاثه شجرة الشر من جذورها ، وترويج الخير المرضى عند الله

---

(١) الطبرى طبعة الحسينية جـ ٥ ص ٣٣ (٢) أشهر مشاهير الاسلام مجلد ١ ص ٧٨

(٣) تاريخ الاسلام السياسى الطبعة الأولى جـ ١ ص ٤٧٨ (٤) تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ٥٧٢ - ٥٧٣

مكتبتنا العربية

المبين فى كتابه . وفى تحقيق هذا الغرض تستعمل القوة السياسية تارة ، ويستفاد من منابر الدعوة والتبليغ العام تارة أخرى ، ويستخدم لذلك وسائل التربية والتعليم طوراً ويستعمل لذلك الرأى العام والنفوذ الاجتماعى طوراً آخر كما تقتضيه الظروف والأحوال . يقول تعالى « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » فالمراد من الحديد فى الآية هو القوة السياسية . والآية قد بينت ما يبعث الرسل لأجله وهو أن الله قد أراد ببعثهم أن يقيم فى العالم نظام العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله عليهم من البينات وما أنعم عليهم فى كتابه من الميزان أى نظام الحياة الإنسانية العادل[1] .

صحح السيوطى ما رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة عن النبى ﷺ « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة . إقرءوا إن شئتم قول الله « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك ديناً أو ضياعا فليأتنى فأنا مولاه »[2] . وفى هذا تقرير صريح لمسئولية الدولة فى توفير الحقوق . ومسئولية الدولة هى مسئولية عامة تجاه الرعايا جميعاً على اختلاف أديانهم وأجناسهم . وهذا يؤخذ من القاعدة العامة : لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وقد تقدم كيف كان عمر يفرض حتى لليهود ، وكيف كانت سياسة خالد فى البلاد المفتوحة .

هذه الحقوق كلها فى ضرورات المعيشة من مأكل وملبس ومسكن ، وفى التعليم والعلاج ، هى التى يكفلها الإسلام فى شريعته وتلتزم بضمانها دولته . والدعوة إلى تحكيم القرآن إنما تعنى كفالة هذه الحقوق وإقامة الدولة التى تلتزمها شرعاً ، وتتعبد بنشر رحمة الله للعالمين .

والذى ينظر إلى نظام الإسلام هذه النظرة يجد أن تطبيق هذا النظام مدعاة للانتفاع بهذا التشريع الاجتماعى الجليل بجانب التوجيه الأخلاقى النبيل . ولن تكون العقوبات ـ ممثلة فى الحدود الشرعية ـ إلا بعد استكمال سبل الوقاية المادية والنفسية من كل دواعى الإجرام .

وفقنا الله إلى الانتفاع من بركات شريعته ، ونحن فى عهد تقنين دستورى جديد « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ... فآواكم وأيدكم بنصره ... ورزقكم من الطيبات ... » اللهم اجعلنا من هؤلاء ... آمين .

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

[١] نظرية الاسلام السياسية . (٢) البخارى طبعة منير ج ٣ ص ٢٣٨

مكتبتنا العربية

هل يعيد التاريخ نفسه

قام جدل على طويل بين علماء التاريخ والسياسة والاجتماع حول العبارة القائلة « التاريخ يعيد نفسه » ، بل لقد ألفت فى ذلك الجدل كتب قيمة ، واختلفوا بين رأيين : جماعة قالوا : إن التاريخ يعيد نفسه حقيقة بكل الظروف والملابسات والمقومات ، أما الشخصيات التى تدور عليها حوادث التاريخ ، فاختلافها لا وزن له فى تقرير هذه الحقيقة ، وآخرون قالوا : إن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه تماما ، وكل ما هنالك أن ظرفا قد يشبه ظرفا ، وأن أحداثا قد تماثل ، فتتشابه النتائج التاريخية التى يسفر عنها تشابه الظروف والملابسات ؛ ولابد من وجود فوارق حتما بين السابق واللاحق .

ومهما يكن من أمر فإن التاريخ يعيد نفسه إلى حد بعيد ، وليس المقصود من ذلك التطابق التام بين الظروف والأحوال والنتائج والأشخاص ، فى السابق واللاحق ، وإنما المقصود أن الإنسان هو الإنسان ، وأن المجتمع الإنسانى لا يفقد خصائصه الذاتية بالتطور العام ، وأن الإدراك البشرى قد يتماثل ، وأن التعقل والتفكير ، كثيراً ما يتبع نمطا واحداً ، ومقدمات واحدة ، فيصل إلى نتائج واحدة ، وأن بعض البلاد قد يمر بظروف متشابهة مع ما مر به بلد آخر . وهنا نضرب مثلا بجميع البلاد التى خضعت للاستعمار ثم تحررت ، أو هى فى طريق التحرر . فمما لا شك فيه أن التماثل والتوافق بين الظروف والملابسات والنتائج فيها ظاهر جلى ، وأن التاريخ فيها يعيد نفسه . ونحن لا ننسى أمراً إنسانيا فطريا غريزيا ، هو المحاكاة التى يقيم علم النفس التربوى عليها أسساً تربوية هامة ؛ ويصدق هذا المثل كثيراً جداً فيما يتعلق بالأشخاص وتاريخهم ، لأن الأبطال يحاكى بعضهم بعضا ، ويقتدى الحاكم العادل بعادل سابق ، والطاغية بآخر سابق عليه ، حسب استعداد كل شخص . وهنا يصل التوافق إلى حد يتعذر معه التمايز والتفرقة بين الحادثين فى النظر السريع ، وهذا كالقول بأن « الضغط يولد الانفجار » ، وهى حقيقة علمية مقررة فى علمى الطبيعة والكيمياء ، وتقوم عليها نظريات هندسية وحربية لها أهمية كبيرة ؛ ويقصد منها فى التاريخ والسياسة أن الحكم الظالم الذى يقوم على كبت الشعور ، والضغط على الحريات ، يدفع دائما إلى الثورة ، والظلم هو الظلم مهما اختلفت وسائله وأساليبه ، ونتائجه دائما واحدة .

مكتبتنا العربية

فعندما يثور شعب مظلوم على حاكم ظالم - كيفما كانت طريقة الثورة - ويحصل الشعب على حريته اقتداء بشعب آخر يصح أن يقال « إن التاريخ يعيد نفسه » .

ونحن اليوم فى هذا العهد الجديد نرجو أن يعيد التاريخ نفسه إلى أبعد الحدود ، وإنا لنلمح أمارات اتجاه قوى إلى سبل الحكم الرشيد ؛ ونلمح اتجاه قائد الثورة إلى الاقتداء بأعدل حاكم عرفه تاريخ المسلمين حتى اليوم - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - الذى ظلم فى مصر كثيراً فى العهد البائد ، ولم يرع الحكام ولا العلماء والكتاب مكانته وكرامته وقدسيته ، فنزلوا به إلى درجة أحط حاكم عرفه تاريخ المسلمين . إلى أن شاءت قدرة الله سبحانه ، أن ترفع الظلم عن مصر ، وعن أمير المؤمنين عمر فى وقت واحد ، وإلى القارىء ملاحظات عابرة نسجلها إحياء للذكرى العاطرة ، ذكرى أمير المؤمنين عمر ، أعظم قدوة حسنة للحاكم الذى يفنى فى خدمة المحكومين :

الأولى : كان عمر يرتفع بنفسه وبعياله فوق الشبهات ، وكان يجعل من نفسه وأهله نموذجا عملياً حياً للعيال والرعية على سواء ، فكان إذا أراد أن يصدر أمراً ، جمع أهله وقال لهم : « إن الناس ينظرون إليكم نظرة الطير إلى اللحم ، إنى سآمر الناس بكذا ، وأقسم لو أخذ أحدكم بمخالفته لأضاعفن له العقوبة » وكان أهم ما يحرص عمر على تحذير عماله منه ، ويشهد الناس عليهم فيه هو الهدايا ، قائلا : « إياكم والهدايا فإن الهدايا هى الرشا » لأنه كان يعتقد أن الهدية التى تقدم للعامل إنما تقدم على حساب مصلحة المسلمين ، وعلى حساب الإسلام والحق والعدل ، ولقد فهم عمر رضى الله عنه ، أن الهدية تساوى الرشوة أو الاختلاس ، من قول الرسول عليه السلام : « ما بال الرجل نرسله فى أمر المسلمين فيرجع إلينا ويقول : هذا لكم . وهذا أهدى إلى . فهلا جلس فى بيت أبيه وأمه لينظر أيهدى إليه ؟ » ولقد أهدت ملكة الروم إلى زوجته أم كلثوم بنت على هدية فصادرها عمر ورد إلى بيت المال !! ولم يستمع فى ذلك إلى تعليلات فقهية من بعض إخوانه . لأنه قدوة ، ويجب أن يكون فوق الشبهات ، بعيداً عن الظن والتقول ! ! ومن محاسن اقتداء الخلف بالسلف فى عصرنا أن الرئيس القائد يرد إلى متحف من متاحف الدولة كل هدية تقدم إليه ، فكأنه يحولها إلى بيت المال ، وكأنه يرفضها ، وهو محق فى ذلك ، وغير هذا لا يليق به ، فهل كان هؤلاء المهدون إليه ، يهدون إليه قبل ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ؟ والذى نرجو أن يكمل الرئيس اقتداءه فيه بعمر ، هو تحريم الهدايا على جميع الوزراء والموظفين العامين ، وهذا أحوط وسائل تحقيق العدالة .

مكتبتنا العربية

الثانية : حدث بعد فتح مصر واستقرار الإسلام بها ، أن تسابق محمد بن عمرو ابن العاص - ابن أمير مصر - مع شبان من المسلمين والمصريين المسيحيين ، فسبق شاب مصرى مسيحى محمد بن عمرو ، فغضب ابن الأمير وضرب المصرى سوطاً على ظهره قائلا : خذها وأنا ابن الأكرمين » . ومر الحادث يومها بسلام كما خيل للمتسابقين ، ولكن الفتى المصرى الذى يعرف عدل عمر وسماحة نظام الإسلام لم يهدأ له بال حتى وقف أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقص عليه القصص ، وكان موسم الحج قد قرب . فاستبق الخليفة المصرى حتى حل الموسم ، واستقدم الخليفة أمير مصر عمرو بن العاص وابنه محمداً ، وفى مجمع من المسلمين فى موسم الحج ضم أمير مصر وابنه ، نادى عمر : أين المصرى ؟ فهب الفتى المصرى هاتفاً : لبيك أمير المؤمنين ، فناوله عمر السوط قائلا : اضرب ابن الأكرمين ، ضعف ما ضربك ! فتناول المصرى السوط وضرب به محمد بن عمرو أمام أبيه مثل ما ضربه ، ثم ناول السوط للخليفة ، فقال له عمر : أعل به صلعة عمرو فإن ابنه ما ضربك إلا بسلطانه !! فأبى المصرى قائلا : إنه أخذ حقه وزيادة . فقال الخليفة لأمير مصر فى غضب : « يا عمرو . متى تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » . وهكذا اقتص عمر الحاكم العادل ، للضعيف من القوى ، فرد عليه بذلك عزته وكرامته ، وجعل أمره حديث الدنيا بأسرها حتى تقوم الساعة . ومن محاسن اقتداء الخلف بالسلف فى زماننا ما رويته الصحف عن فلاح مصرى مسكين جاء إلى دار الرياسة ، يشتكى إلى الرئيس القائد ضراً أنزله به عمدة بلده وهو عمدة جبار من الطغاة العتاة ، الذين رضعوا لبان الظلم فى عهد الفساد ، ونحن جميعاً نعرف مدى استبداد هؤلاء العمد بالفلاحين ، فاستقدم الرئيس العادل هذا العمدة الجبار ، وأذله أمام أخينا الفلاح ، وأرغمه على رد حقوق الفلاح إليه ، وجعله عبرة للمستبدين ، وهكذا انتصف الرئيس العادل للفلاح الضعيف من العمدة المستبد ؛ وهو مالم يحدث فى مصر من زمن طويل .

الثالثة : فى سنة ١٥ هـ حدثت مجاعة شديدة ببلاد العرب ، وسموا عامها عام الرماد أو الرمادة ، لالتصاق الأيدى بالرماد . فأقسم الخليفة عمر : ألا يذوق سمناً ولا عسلا ، ولا لحما ولا شحما حتى يحيا الناس . وبر الخليفة بقسمه ، فشحب لونه ، ونحل جسمه ، واعرورق وجهه ، حتى خاف الصحابة أن يلحقه من جراء ذلك مكروه ! فاتفقوا على حمله على التحلل من قسمه ، وإفهامه أن حياته ليست ملكا له ، وإنما هى خير وبركة للمسلمين ، وعليه أن يحافظ عليها من أجلهم ، فقالوا له ذلك . فرد عليهم غاضبا بقوله : وأنتم الذين

مكتبتنا العربية

تقولون الذى قلتم ، لا أشبع الله بطن عمر ، بئس الحاكم أنا إذا شبعت وجاع الناس !! لم إذن كنت إماما ؟ وكيف أصلح للناس قدوة ، إذا لم يصبنى ما أصابهم ، وكيف يعنينى شأن الرعية إذا لم يمسنى ما مسهم ، أيها الناس : إن لنا عليكم حقا ، النصح بالغيب ، والمعاونة على الخير !؟

وبالأمس القريب ذهب الرئيس نجيب لمواساة أهل قرية صهرجت الصغرى التى دمرها الحريق ، وبعد أن طاف بالقرية ، وواسى أهلها ، ووزع عليهم معونة الله لهم ، صمم على رؤية المصابين حيث هم ، ليطمئن قلبه على راحتهم ، فقال له مأمور مركز أجا : ياسيدى الرئيس ، انهم فى مستشفى أجا ومستشفى ميت غمر ، وشرح له متاعب الطريق الزراعى الطويل ، ثم قال : تستطيع يا سيدى الرئيس إنابة من تشاء لزيارة المصابين ، فقال الرئيس : إنى أريد زيارة المصابين بنفسى ، أما الراحة التى تحدثنى عنها فأسقطها من حسابك ، وكيف لى بالراحة ، وهؤلاء المساكين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء !! ، وأصر على الركوب إلى المصابين الاطمئنان بنفسه عليهم ، وهذا أمر يستحق التسجيل لأن مصر لم تتعوده من حكامها الناعمين المترفين ، المتألهين فى تاريخ حديث طويل !؟

هذه ملاحظات عابرة نقصد منها التوجيه إلى الخير ، وتقدير إحسان المحسنين ، وتحرى ولاة أمورنا الاقتداء بسلفهم فيما كانوا عليه من الكمال المثالى .

وإذا كنا نطمع اليوم فى « القدوة الحسنة » التى نجدها فى الرئيس نجيب ، أن تعيد الينا وبنا عهد العزة والكرامة ، عهد عمر بن الخطاب ، فلسنا نسرف على أنفسنا وقادتنا ، فهذا الذى ذكرنا بشير عودة بالحكم إلى معنى خدمة الشعب ، وإن الحاكم خادم أو رائد للشعب ، وقائده إلى الخير العام ، أو أنه كما قال عمر : « مثلى ومثلكم كمثل ولى اليتيم منه ومن ماله » ، أى حسن الرعاية ، وحسن الإرشاد ، لا السيادة والاستعباد ، ونحن فيما نلمح من بشائر وأمارات نؤمن بأن العهد الجديد لابد بالغ بنا إن شاء الله إلى ذروة العزة والكرامة ، وأنه سيعيد للإسلام مجده وقوته ، وأنه سيجعل « دين الدولة الإسلام » بحق ، لا كما كان فى العهد الماضى حبراً على ورق ، وإنا له أعوان وأنصار « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

محمود فياض
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

الأزهر والثورة العرابية

لم يقتصر دور الأزهر فى التاريخ المصرى على الناحية العلمية ، بل كان للأزهر مواقف خالدة فى تاريخ مصر القومى ، ومن أهمها الدور الذى قام به فى الثورة العرابية :

بعث روح النهضة الفكرية والأدبية : ساهم الأزهر بنصيب وافر فى إذكاء الحماسة ونشر التعليم وإعداد النفوس لتلبية نداء الحرية ، فقد قام رجاله وعلى رأسهم الشيخ عبد الله الشرقاوى منذ أوائل القرن التاسع عشر بإعلان حقوق الشعب والزام الوالى باحترام هذه الحقوق ، ثم ظهر بعد ذلك رجال أفذاذ سجلوا للأزهر صفحات ذهبية فى تاريخنا مثل رفاعة رافع والسيد عبد الله النديم والشيخ محمد عبده .

فالأول كان زعيما لنهضة العلم والأدب فى عصره ، ومن أهم أعماله تأسيس مدرسة الألسن التى خرّجت نخبة من العلماء والأدباء والشعراء ، كما قام بترجمة الدستور الفرنسى ، وعلق على الترجمة تعليقات تدل على فهم صحيح لأحكامه ومبادئه ، وميل فطرى إلى (١) النظم الحرة ، وترجم القانون المدنى الفرنسى ، ونشر رحلته فى فرنسا وسماها (تخليص الإبريز) ، ولم يقتصر نشاطه على التأليف والترجمة والتدريس بل خدم وطنه بقصائد شعرية تدل على وطنية صادقة وتفان فى محبة الوطن حتى بلغ من حماسته أنه عرب نشيد (المارسليز) الفرنسى الذى يعتبر من أعظم الأناشيد الحماسية القومية حتى لا يحرم أبناء وطنه من تذوق هذا النشيد .

وهناك السيد عبد الله النديم الذى حاول أن ينفث فى الأمة روح الحماسة كى يستيقظ الشعب من غفوته ، ونادى بضرورة تعليم أبناء الوطن تعليما نافعا ، وفى سبيل تحقيق أغراضه أسس (الجمعية الخيرية الإسلامية) ونحا نحوا جديداً لنشر أفكاره ، فألف مسرحيتين إحداهما (الوطن وطالع التوفيق) والأخرى (العرب) ، مثلهما هو وتلاميذه على مسرح زيزينيا بالاسكندرية . وقد بين فى مسرحيته الأولى جميع الأمراض والعلل التى تهدد

(١) تاريخ الحركة القومية للعلامة عبد الرحمن الرافعى ج ٣ ص ٤٧٩ .

مكتبتنا العربية

وجود الأمة من عدم اكتراث بمصالح البلاد القومية وانصراف إلى الملذات واستغلال لضعف الجمهور وإبتزاز للأموال ظلما وعدوانا . وقد نجح فى تصوير هذه الأدواء نجاحا منقطع النظير ، ثم عمل على نشر أفكاره عن طريق الصحافة فأسس صحيفته الأسبوعية (التنكيت والتبكيت) .

وبينما كان صوت النديم يجلجل بالإصلاح ويمهد للثورة فى نفوس المثقفين كان الشيخ محمد عبده يبث تعاليم السيد جمال الدين الأفغانى فى دروسه ، ويعالج الشئون العامة للبلاد فى صحيفتى الأهرام والوقائع الرسمية [1] .

ومالنا نذهب بعيدا ورأس الثورة المفكر (أحمد عرابى «باشا») تلقى علومه فى الأزهر مدة أربع سنوات ، وكان لهذه المدة على ضآلتها اثر كبير فى تكوين شخصية عرابى كزعيم ثورى إذ جعلت منه خطيبا مفوها يستولى على عقول سامعيه ويهز مشاعرهم .

ووسط هذا النضوج الذهنى اندلع لهيب الثورة .

الشيخ محمد عبده يضع صيغة اليمين الوطنية :

فى ٢٥ مايو عام ١٨٨٢ قدمت كل من انجلترا وفرنسا مذكرة يطلبان فيها إبعاد عرابى باشا وإرسال كل من على باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى إلى أية جهة داخل القطر المصرى واستقالة وزارة البارودى : فرفض مجلس الوزراء مطالب الدولتين ، واجتمع أحمد عرابى باشا ومحمود سامى باشا البارودى وكبار الضباط فى قشلاق عابدين واتفقوا فيما بينهم على أن يكونوا يدا واحدة فى الدفاع عن البلاد ، وأرسلوا إلى الشيخ محمد عبده ليضع لهم صيغة يمين الثورة فوضعها لهم ، وتلاها عليهم ، فرددوها فى صوت واحد .

العلماء والضباط ينسحبون من مجلس الخديو :

استقالت وزارة البارودى يوم ٢٦ مايو عام ١٨٨٢ ، وأراد الخديو توفيق أن يبث التفرقة فى صفوف الزعماء ، فعقد اجتماعا يوم ٢٧ مايو حضره من العلماء الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد عليش والشيخ حسن العدوى والشيخ أبو العلا الخلفاوى ، وحضره شريف باشا وكبار النواب والضباط وعرض الخديو على المجتمعين تشكيل وزارة

(١) مقالاته منشورة فى الجزء الثانى من تاريخ الامام محمد عبده .

مكتبتنا العربية

برياسته ، وقبول المذكرة الإنجليزية الفرنسية . فأجاب طلبة باشا عصمت على كلام الخديو قائلا « إننا مطيعون لجناب السلطان الشاهانى وللجناب الخديوى . ولكن هذه اللائحة يستحيل علينا تنفيذها ، ولا حق للدولتين فى طلب تنفيذها ، فهى تتعلق بمسائل من اختصاص الباب العالى أن ينظر فيها ويستحيل علينا قبول أحد رئيساً للجهادية خلاف رئيسنا أحمد باشا عرابى » ، ووافق على قوله الشيخ عليش والعلماء جميعاً . ثم غادر طلبة باشا مجلس الخديو بدون استئذان وتبعه الضباط والعلماء .

العلماء يصدرون فتوى بعزل الخديو توفيق .

بعد ضرب الأسكندرية فى ١١ يولية عام ١٨٨٢ قام عرابى باشا للدفاع عن البلاد ، فأصدر الخديو أمراً بعزله فى ٢٠ يولية ، وبناء على ذلك اجتمع المؤتمر الوطنى للمرة الثانية فى ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ ليقرر موقف الأمة من الخديو الذى أعلن بتصرفاته انضمامه إلى الإنجليز . وتلا الشيخ محمد عبده على أعضاء المؤتمر أوامر الخديو التى تثبت إدانته ، ومنشورات عرابى باشا التى تدعو إلى الدفاع عن الوطن . ثم ألقى على باشا الروبى خطبة ندد فيها بموقف الخديو المزرى إزاء قضية البلاد ، ثم تليت فتوى شرعية أصدرها العلماء بمروق الخديو عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده ، فأصدر المؤتمر الوطنى قراره التاريخى بعزل الخديو ووقف أوامره وتكليف عرابى باشا بالدفاع عن البلاد ، وتكليف المجلس العرفى بتبليغ هذه القرارات للسلطان ، ووقع الحاضرون على ما قرره المؤتمر الوطنى وكان من بين العلماء الموقعين على ذلك : ـ

الشيخ محمد الأنبابى شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ حسن العدوى ، الشيخ عبد الله الدرسناوى مفتى الحنفية ، الشيخ محمد عليش مفتى المالكية ، الشيخ يوسف الحنبلى مفتى الحنابلة ، مفتى الأوقاف ، الشيخ عبد الهادى الأبيارى ، الشيخ محمد الأشمونى ، الشيخ خليل العزازى ، الشيخ مسعود النابلسى ، الشيخ محمد القلعاوى ، الشيخ زين المرصفى ، الشيخ حسين المرصفى ، الشيخ سليم عمر القلعاوى ، الشيخ عثمان مدوخ ، الشيخ عبد الرحمن السويسى ، ومن رجال القضاء الشرعى : الشيخ أبو العلا الخلفاوى ، الشيخ عبد القادر الرافعى ، الشيخ عبد القادر الدليشانى ، الشيخ أحمد الخشاب .

جهود العلماء أثناء الحرب :

بذل العلماء مجهوداً كبيراً فى سبيل الدفاع القومى فدعوا إلى التطوع فى صفوف الجيش

مكتبتنا العربية

المصرى وإمداده بالمؤمن والتبرعات . وكان من أبرزهم الشيخ محمد عبده والشيخ حسن العدوى والسيد عبد الله النديم الذى كان لسان الثورة الناطق والذى كان يستدعى للخطابة بالبرق حتى لقب بخطيب الثورة بل (خطيب الشرق) .

محاكمة العلماء الذين اشتركوا فى الثورة العرابية :

بعد انتهاء الثورة العرابية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدموا للمحاكمة . وهاك بيان العلماء الذين قبض عليهم والأحكام التى صدرت ضدهم وأمام كل منهم إسم البلد التى اختارها لمنفاه [١] :

الشيخ عبد الرحمن عليش	نفى خمس سنوات	خارج القطر المصرى	(الآستانة)
« عبدالقادر قاضى مديرية القليوبية	« أربع «	« « «	(بيروت)
« محمد الهجرسى	« « «	« « «	(مكة المكرمة)
« أحمد عبد الجواد القاياتى	« « «	« « «	(بيروت)
« محمد عبد الجواد القاياتى	« « «	« « «	(بيروت)
« يوسف شرابة	« « «	« « «	(غـــزة)
« محمد عبـــده	« « «	« « «	(بيروت)

هذا مع تجريدهم من الرتب والامتيازات والمناصب وعلامات الشرف .

وحكم على العلماء الآتية أسماؤهم بتجريدهم من جميع رتبهم وعلامات شرفهم وامتيازاتهم :

الشيخ حسن العدوى وابنه الشيخ أحمد العدوى ـ الشيخ أحمد المنصورى ـ الشيخ محمد السملوطى ـ الشيخ أحمد البصرى ـ الشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى العضو الاول بالمحكمة الشرعية ـ الشيخ عبد الوهاب عبد المنعم قاضى إسنا سابقاً ـ الشيخ محمد أبو عائشة قاضى بور سعيد سابقاً ـ الشيخ على الجمال نقيب الأشراف بدمياط ـ الشيخ أحمد عبد الغنى ـ الشيخ محمد عسكر ـ الشيخ أحمد مروان ـ الشيخ محمد جبر قاضى المنصورة سابقاً ـ الشيخ عبد البر الرملى قاضى العريش سابقاً ـ الشيخ أحمد صلى نائب محكمة المنصورة سابقاً ـ الشيخ محمد غزال قاضى مركز البحيرة .

---

[١] الثورة العرابية للعلامة الرافعى صفحة [٩٤٠] وما بعدها .

مكتبتنا العربية

شجاعة الشيخ حسن العدوى رحمه الله تعالى .

استدعى هذا العالم الجليل من السجن لمحاكمته يوم الثلاثاء ١٤ محرم سنة ١٣٠٠ (الموافق ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢) فنطق بالحق غير هياب ولا وجل ولا مكترث بالحكم الذى سيصدر عليه، ونقتبس هنا طرفا من محاكمته : سئل رحمة الله تعالى : هل ختم على عزل الخديو وإسناد أمر الدفاع عن البلاد إلى عرابى باشا برغبته ورضاه ، أم لسبب آخر ؟ .

فأجاب « ختمت تابعاً للعلماء الذين ختموا قبلى مثل شيخ الإسلام ومفتى الجامع الأزهر وشيخ الجامع وغيرهم ، وكان ختمى برغبتى ورضائى للمدافعة الواجبة شرعا وسياسة ، وما كان ينبغى لأحد أن يمتنع عن الختم .

س : علم المجلس أنك أفتيت بعزل الجناب الخديوى ، فهل هذا حقيقة أم لا ؟ .

ج : لم تصدر منى فتوى فى ذلك ، ولم أسأل فى هذه المادة . ومع ذلك فإذا جئتمونى الآن بمنشور فيه هذه الفتوى فإنى أوقعه ، وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديو توفيق مستحق للعزل لأنه خرج عن الدين والوطن » .

هذه هى صفحة من الصفحات المجيدة سجلها الأزهر بحروف من نور فى تاريخنا القومى .

أحمد عز الدين عبد الله خلف الله
المدرس بمعهد دسوق

إلى الذين يشوهون تاريخ الاسلام

* إذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .
* ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ ، فهذا سهل ميسر حتى للحمق . ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده .
* التاريخ حدود كمالك الأرض ، فلا يتسع إلا لعدد محدود .
* لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملأوا داراً صغيرة ،

مصطفى صادق الرافعى

مكتبتنا العربية

الغزو الفكري للبلاد الإسلامية

بعد فشل الغزو العسكري الصليبي

منذ اندحرت جيوش أوروبا فى حملاتها الصليبية على البلاد الإسلامية أمام جحافل صلاح الدين ومن جاء بعده من سلاطين المسلمين وملوكهم وقادتهم المجاهدين الذين قاوموا الغزو الصليبي بكل ما لديهم من قوة وبأس ولم يفتروا فى مقاومته مدة مائتى سنة أو تزيد حتى قضوا عليه قضاءا مبرما ، وطهروا منه البلاد وأراحوا العباد ، وحفظوا بذلك لبلاد الشرق حريتها واستقلالها وأبقوا لها صبغتها الإسلامية والعربية ، مما سجله التاريخ لأولئك المجاهدين الأبرار بأجل التقدير والإعجاب .

ومنذ ارتدت فلول الصليبيين إلى بلادها تجر أذيال الفشل والإخفاق ، أخذت حكومات أوروبا وجمعياتها وساستها وكبار رجال كنائسها على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، فى بحث أسباب هزيمتهم واندحارهم أمام جيوش المسلمين ، وبعد أن رجعوا إلى تاريخ حملاتهم على البلاد الإسلامية وسبروا أعمالها بكل دقة وتمحيص اتضح لهم أن لإخفاقهم أسباباً وعوامل متعددة ، وتأكد لديهم أن العامل الأول فى صدهم وطردهم من البلاد الإسلامية هو إيمان المسلمين بالله ورسوله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وتغلغل هـــذه العقيدة الإسلامية فى أعماق نفوسهم واعتبارهم الجهاد فى سبيل الله عبادة مفروضة يتقربون بها إلى الله ، وأن استمساك المسلمين بأوامر الإسلام وآدابه وحرصهم على أداء واجباتهم الدينية كان له أكبر الأثر فى ثباتهم فى ميادين القتال وتصميمهم على مقاومة عدوهم والانتصار عليه مهما كلفهم ذلك من خسائر فى الأموال والأنفس والثمرات ، وغير ذلك من تضحيات يعتبرونها قربات إلى الله تعالى .

فبهذا الإيمان العميق والإخلاص والصدق فى دفع العدوان عن دينهم وأوطانهم وديارهم استحقوا النصر والفوز على أعدائهم .

فلما ثبت لديهم بالدليل القاطع أن قوة المسلمين فى عقيدتهم وتعاليم دينهم ، وأنهم ما داموا مستمسكين بها فلن تستطيع أية قوة من الغزاة أن تسيطر على بلادهم ، حينئذ أخذ

مكتبتنا العربية

أولئك الصليبيون من الساسة والقادة ورجال الكنيسة يرسمون الخطط ويضعون البرامج لإضعاف الروح الدينية فى نفوس المسلمين وفتنتهم عن دينهم وتنصيرهم إن أمكن ، فأعدوا حملات منظمة لغزو بلاد المسلمين فى المشرق والمغرب غزواً « سلمياً » بإرسال طوائف وجماعات من القسس والرهبان والراهبات المدربين تدريباً خاصاً والدارسين تاريخ وعادات وتقاليد البلاد التى ندبوا للعمل فيها ، وأدخلوهم فى بلاد المسلمين للتبشير بالنصرانية بين المسلمين وأمدوهم بالأموال الطائلة وجعلوهم فى حماية الدولة الكبرى وتحت رعايتها وإشراف رجالها من مدنيين وعسكريين .

قال مستر ادوين بلس فى كتابه (ملخص تاريخ التبشير) : « إن ريمون لول الأسبانى هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها ، فتعلم لول اللغة العربية بكل مشقة وجال فى بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة [١] » .

وقررت اللجنة التى ألفها مؤتمر أدنبرج التبشيرى لبحث الأعمال المدرسية التى يقوم بها المبشرون فى البلاد الإسلامية ، ما يلى :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة تركيا على أن معاهد التعليم الثانوية التى أسسها الاوربيون « فى البلاد الإسلامية » كان لها تأثير على حل المسألة الشرقيه يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوروبا كلها » [٢] .

وقالى اللورد بلفور رئيس الشرف لمؤتمر أدنبرج التبشيرى فى تأييد المبشرين ووجوب تشجيعهم ومعونتهم ما نصه « إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات « يعنى الاستعمارية » ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات . وعلى هذا فنحن فى حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين . فأجيب اللورد إلى اقتراحه وتألفت لجنة مختلطة لمواصلة العمل [٣] » .

٢ — وجاء فى مجلة العالم الإسلامى الفرنسية أن السير جيروار حاكم أفريقية الشرقية

---

[١] عن كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) ص ١٧ تأليف مسيو لوشاتليه وتعريب الاستاذين محب الدين الخطيب ومساعد اليافى .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٢

(٣) نفس المصدر ص ٧٨

مكتبتنا العربية

الإنكليزية صرح فى المؤتمر الذى أقامه المبشرون على ظهر الباخرة «غالف» فى البحر الأحمر أنه يجب على المبشرين أن يشتركوا فى العمل ضد الإسلام»[1].

وقد ذكر مستر بلس فى كتابه تفصيلات عن أعمال الجمعيات التبشيرية الإنجليزية والأمريكية والهولندية والفرنسية والسويدية والدانماركية وسواها من جمعيات اقتسمت العمل فى الأقطار الإسلامية فى مصر والسودان وسوريا وفلسطين والعراق وبلاد إيران والهند وجاوا وبلاد المغرب وأفريقيا وغيرها من أقطار.

فقد انطلق أولئك المبشرون والمبشرات بتأييد من حكوماتهم يجوسون خلال الديار الإسلامية منذ القرن الثامن عشر الميلادى أو قبل ذلك كما تدل بعض الروايات التاريخية، مستغلين ضعف الحكومات الإسلامية فى القرون الأخيرة، ومن جراء ذلك الضعف استطاع المبشرون أن يؤسسوا فى أكثر الأقطار الإسلامية كمصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وبلاد المغرب والهند وأفريقيا وسواها مدارس وكليات ومستشفيات ومصحات ودوراً للكتب وجمعيات ومنتديات للذكور والإناث ظاهرها معالجة المرضى وتدريس العلوم العصرية واللغات الأجنبية وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية. وباطنها وحقيقة قصدها محاربة العقيدة الإسلامية ومقاومة الآداب والتقاليد العربية والشرقية الفاضلة.

ولا شك فى أن المبشرين قد نجحوا كثيراً فى تنفيذ جانب كبير من خططهم وأهدافهم فى البلاد الإسلامية، وبخاصه توطيدهم للاستعمار الأجنبى، وعملهم على خدمته. كما أن مدارسهم الأجنبية ودعاياتهم السامة تتحمل أكبر قدر من تبعة ما تعانيه مصر وسوريا ولبنان والعراق وفلسطين وبلاد المغرب وسواها من بلاد العرب والمسلمين من انحلال خلق وانطلاق من آداب الإسلام وتقاليده الحميدة، فقد بث المبشرون والمبشرات الشكوك والشبهات واحتقار العقيدة الإسلامية فى نفوس النشء من أبناء المسلمين وبناتهم ممن أدخلوا مدارسهم وطبعوهم بطابعهم الأجنبى الغريب عن الإسلام وتقاليده، وآدابه، وعودوهم على مشاركتهم فى طقوسهم وعاداتهم، وأغروهم باتباع مباذل التقاليد الأوربية الإباحية بزعم أنها من أسس التمدن والرقى العصرى، وبإغرائهم انتشرت الحفلات الماجنة

---

(١) منه، ص ١٣٧.

مكتبتنا العربية

التى يختلط فيها الرجال والنساء مخمورين فى حلبات الرقص الهمجى المستهتر المخالف لكل دين وخلق نبيل .

ولقد أثر المبشرون والمعلمون الأجانب على عقول تلاميذهم المسلمين وحشوا أدمغتهم بتاريخ أوروبا وأمريكا وتمجيد قادتها وساستها ومفكريها من الفلاسفة والمخترعين والعسكريين وصوروهم لهم بصور الأبطال العباقرة الذين يجب الاقتداء بهم ، وحملوهم بطريق مباشر أو غير مباشر على الاستهانة بدين الإسلام والاستهتار بأوامره وآدابه وفضائله ، محرفين الكلم عن مواضعه ، مصورين لهم بصورة مشوهة مفتراة تاريخ النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقادة الإسلام وحماته ، ذاكرين تاريخ فتوحات المسلمين ومفاخرهم وما كان لهم من قوة وعلم وحضارة بشكل قاتم لينفروا أولئك الصغار السذج من البنين والبنات من دينهم الإسلامى الحنيف ومن أبطاله المجاهدين الذين ملأوا الأرض إبان دولتهم قسطا وعدلا وحكمة وحضارة وعلماً .

ومما يقررونه لتلاميذهم أن حرية الفكر والرأى ينبغى أن لا تمنع الإنسان من الطعن فى الدين ومخالفة ما عليه جماهير المسلمين وعامتهم ، وأن الشخص لن يكون متمدناً عصرياً إلا إذا قلد الأجانب فى زيهم وعاداتهم ، وسائر الغربيين فى تقاليدهم ، وانغمس فى حفلاتهم ومباذلهم ، واقترف مثل ما يقترفون من آثام فى اجتماعاتهم المختلطة رجالا ونساء ، وتعاطى ما يتعاطون من كؤوس المشروبات المحرمة إلى جانب كؤوس المخادنة وما يتبعها من فحشاء ومنكر وتقويض للعقل والأخلاق ثم خراب للبيوت وانتهاك الأعراض والحرمات .

فتلك الآراء الضالة التى بثها أولئك الأجانب فى تلاميذهم من أكبر العوامل فى حدوث البلبلة الخلقية والاجتماعية التى يشكو منها المجتمع الإسلامى والعربى اليوم .

ولا نكون مبالغين إذا قلنا : إن هذا الغزو الفكرى الأجنبى لمصر والسودان وسواهما من بلاد المسلمين والعرب فى المشرق والمغرب لا يقل خطره وضرره عن الغزو العسكرى ، بل صنوه ونصيره . وإن الأقطار العربية والإسلامية لن تطمئن على حريتها واستقلالها إلا إذا تخلصت من الغزو الأجنبى بأنواعه سواء أكان غزواً عسكرياً أم فكرياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً .

مكتبتنا العربية

إن الدين الإسلامى يفرض على المسلمين كافة أفراداً وجماعات أن يتعاونوا على مقاومة الغزو الأجنبى بجميع أشكاله ليحفظوا دينهم وعقيدتهم ، ويصونوا أوطانهم وديارهم من كل نفوذ أجنبى ليعيشوا أحراراً كما خلقهم الله .

وإن مقاومة حملات الغزو الفكرى الأجنبى تحتاج إلى خطط مضادة وتنظيم وكفاح مرير يقوم به علماء الأزهر الشريف وإخوانهم من علماء المسلمين ، وقادتهم وزعماؤهم وأصحاب الرأى منهم فى مختلف الأقطار ، وإنى لأوجه أنظار القادة الداعين إلى مؤتمر العالم الإسلامى المزمع عقده فى هذا العام إن شاء الله أن يفى مؤتمرهم بمعالجة هذا الموضوع ويرسم الخطة العملية لإنجاحه .

وإنى لأهيب بقادة هذه النهضة الإصلاحية المباركة فى مصر ، الذين عانوا من فساد المبشرين وكيدهم فى جنوب السودان ما عانوا ، أن يعملوا للخلاص من هذا الغزو الفكرى الاستعمارى ، باتخاذ خطوات إيجابية حازمة تستأصل الشر فى جذوره وترد كيد العدو إلى نحره ، وذلك بإنشاء مدارس كافية ومستشفيات ومصحات ومكتبات يستغنى بها الشعب المصرى عن معاهد الأجانب ، وأن يسن قانون جديد يوحد نظم التعليم العصرى وبرامجه وينص فيه على وجوب تعليم الدين الإسلامى لكل تلميذ مسلم وإنشاء مسجد فى كل مدرسة مصرية أو أجنبية فى جميع البلاد المصرية ليؤدى فيها المسلمون من الطلبة والطالبات فرائض الصلوات والشعائر الدينية الإسلامية . ولا جدل فى أن اتخاذ مثل هذه الوسائل الحازمة وتنفيذها من حق أبناء الوطن ، وذلك كفيل بإراحة البلاد والعباد من شرور أعداء الحق وضلالاتهم ، وأى إجراء تتخذه حكومة مصر فى هذا السبيل سيكون له صداه وأثره الحميد فى جميع البلاد الإسلامية والعربية التى ستقتدى بمصر وتتبع خطواتها وأساليبها فى ذلك إن شاء الله .

محمد صبرى عابدين
من علماء الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

علوم البلاغة فى الميزان

إنا نتقدم بالشكر إلى الأستاذ الشيخ محمود النواوى ، أن أجاب دعوتنا إلى مناقشة ما كتبناه فى نقد علوم البلاغة لنحفز العقول إلى البحث والابتكار ، وغربلة تراثنا الماضى لنطرح منه الزوان ونبقى منه الحب الخالص النافع ، وقد حصر ما نقدنا به فى أمور :

١ — أنه جعل للذكر بلاغة مثل الحذف إلا أن الحذف أدق وجعل منه « فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

على أن ليس عدلا من كليب . « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به . وقول الشاعر :

وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا

وما ذكره يؤدى إلى أن يكون جاء زيد وضرب عمرو وأكل خالد بليغا لأنه ذكر صادف موضعه فيقال ذكر المسند إليه لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه .

ومثل هذا لا يوصف بالبلاغة وإنما يوصف بالصحة والسلامة من الخطأ واللحن ، وما ذكره من الأمثلة ليس بعضه مما نحن فيه بل هو من باب آخر هو باب التكرار مثل : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » التى تكررت فى سورة الرحمن ومثل : على أن ليس عدلا من كليب . التى تكررت فى قصيدة المهلهل .

وكنا نود أن يأخذ بالمنهج الذى رأينا أن نأخذ أنفسنا به وهو أن نعرض القول على أذواقنا فإن أحسسنا له جمالا وأخذتنا له أريحية ، علمنا أنه بليغ وبحثنا عن علة جماله وسببه ، ولو أخذ نفسه بهذا المنهج لما رأى فى أمثال جاء زيد وضرب عمرو جمالا وحكم بأنه وإن كان من باب الذكر الذى صادف موضعه لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ليس بليغا ، ولحكم بأن عبد القاهر كان مصيباً حين عمد إلى أبواب وخصها بالقول وبين ما فيها

مكتبتنا العربية

من بلاغة ولم يجعل كل كلام كـكل كلام ما دام قد أصاب النحو ولم يخالف موضعه ولو سار المتأخرون كما سار عبد القاهر لميزوا الجمال وأفردوه وهدوا إليه ودلوا عليه ولأجدى ذلك على المتعلمين فـكانوا بذلك التمييز والإفراد يعرفونه ويتوخونه فى نثرهم وشعرهم .

٢ — لما قلنا إن فى الحذف جدة وطرافة لأن الناس لم يعتادوه اعترض بأن الناس اعتادوه ثم ذكر هنا أن العامة تعرف البلاغة وذكر حكاية :

وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض المطايا فى سواد المطالب

ونحن لا نزال نؤكد أن الـكلام الذى لم يحذف منه آلف وأشد دوراناً على ألسنتهم وأن الـكلام المحذوف منه أقل من القليل .

وما زلنا نرى فى الـكلام المحذوف جدة وطرافة ونرى مكان المحذوف خاليا نفتقده فلا نجده من حيث كنا نترقب وجوده .

وأما أن العامة قد يقع لها كلام بليغ فهذا ما لم ننكره ولم نخالف فيه ، بل قد صرحنا به وقد كنا نود أن نمثل فى باب الحذف بقولهم :

شاكى ومين بيسمع منى باكى ومين بيسأل عنى

والمعنى أنا شاك ، وأنا باك ولـكنه حذف فكان له هذا الحسن وهذا الجمال .

٣ — وأما اعتراضه بأن قول علماء البلاغة بأنه يحذف للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل أو اللفظ لازم لقوله إذا ذكر مع القرينة كان كالتقييل .

ولا يضرهم أن يدققوا بمراعاة قيود معينة .

ونحن ننقل عبارته بلفظها ليشاركنا القارىء فهمها .

سلك مسلك التعليل النفسى وهو كما بينه فى آخر الـكلام معنى يشعر المرء بأثره ولا يدركه ولـكن الفلسفى العارف بخفايا النفوس يدركه ويؤمن به .

وإذا كان ذلك فلماذا لم يطبقه على قولهم الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين أليس ذلك لازما لقوله إذا ذكر مع القرينة كان كالتقييل الخ .

ولا يضره أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة « بناء على الظاهر » وكلمة « تخييل » فإن

مكتبتنا العربية

ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق ».

الفرق بين العلل التى نذكرها والتى يذكرها العلماء المتأخرون أن العلل التى نذكرها هى أمور إذا كان الكلام عليها اكتسب الجمال والروعة سواء أعلمها المتكلم أم لم يعلمها أما العلل التى يذكرونها فهى أمور يقصدها المتكلم فلا بد أن يكون عارفا بها ولذلك إذا اعترضنا عليهم حين يقولون بأن المسند إليه يحذف لتخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ «بأن هذه معان لا تدور بخلد المتكلم ولا يعرفها - لا يلزمنا ذلك فى تعليلنا لأننا لم نقل إن المتكلم يقصدها ، أما هم فقولهم تخييل العدول أى تخييل المتكلم العدول يقتضى أن المتكلم يعرفه ويقصده لأنه كيف يخيل شيئاً لا يعرفه ولا يقصده ، فقوله ولا يضر أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة «بناء على الظاهر» وكلمة «تخييل» فإن ذلك هو «مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق .

قلنا ذلك يضر كل الضرر لأن المتكلمين ليسوا جميعاً فلاسفة بل الفيلسوف يكون واحداً فى المليون أو أقل ، فلا يراعون هذه المعانى الدقيقة والقيود الخفية المحتاط فيها كل الاحتياط ، أما نحن فلم نوجب أن يعرف المتكلم علل البلاغة التى نذكرها ، وإنما يعرفها العالم الذى اشتغل بالعلوم الحكمية ، وهما جميعاً يحسان جمال الكلام وروعته ، وبعد ذلك يختلفان ، أما العامى فلا يدرى العلة والسبب ، وأما الحكيم فيدرى العلة والأسباب ، ومثل ذلك مثل عالم وحكيم يسمعان قطعة موسيقية أو يريان روضاً نضيراً ، فيطربان ويعجبان ولكن الحكيم يدرك من تناسق النغم ومن بدائع الصنعة ما لا يدركه الآخر .

وقد بقى من اعتراضات حضرته اعتراض واحد وهو أن بعض العلل التى ذكرتها لازم لبعض ، فالهجوم بالمخاطب على المطلوب دفعة يلزمه دفع الاستثقال والاستكراه ، فإن من هجم بك على المطلوب فقد دفع عنك ثقل الفضول الذى تقذى به العين - وأقول وإذا كان أحدهما يلزمه الآخر فماذا يقدح فى كونهما شيئين - لا أنه لا يقدح فى كونهما شيئين وقد عددناهما أمرين لذلك ، وهما حقيقتان متميزتان كل التميز . ثم قال: مع أننى كنت أحب ألا يورد فى هذا المقام البيت الذى أورده .

مكتبتنا العربية

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

فإن القريب من النفس أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر، وإن اشتغال المريض بشأنه جدير أن يحول دون مراعاته لحال السامع وإذا كان المريض مشغولا بأمره عن احترام الزائر والاعتدال له وتحيته، فأحرى ألا يفكر فى الهجوم به على المطلوب. وأقول هذا الاعتراض يزول بما قدمناه من أن العلل التى عملنا بها حسن الكلام لا يلزم أن يقصدها المتكلم فلا يضرنا أنه مشغول بأمره عن أن يفكر فى الهجوم على المطلوب دفعة، فإن ذلك لازم للحذف سواء أراده المتكلم أم لم يرده، فإن من سمع فى جواب كيف أنت ؟ عليل .فقد هجم على المطلوب دفعة دون أن يشغل بأمر آخر، وما ارتضاه من أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر لا يتنافى مع ما قلناه فيمكن أن يجتمعا، ولو شئنا المشاحة لقلنا إذا كان ضيق المقام لم يمنعه أن يتبسط فى الجواب، فيقول عليل سهر دائم وحزن طويل فحرى ألا يضيق بقوله : أنا .

وأكرر شكرى للأستاذ النواوى مرة أخرى وأسأل الله أن يلهمنا الصواب ويجنبنا الزلل .

م ع .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المرأة

* لا شىء يشرف المرأة مثل صبرها، ولا شىء يشينها مثل صبر زوجها عليها .

جوبير

* خير للمرأة أن تنظر فى شأن منزلها وأطفالها، من أن تبحث فى أمور لا شأن لها بها .

نابليون

* المرأة أفقدتنا الفردوس، وهى وحدها قادرة أن تعيده إلينا . هوتير
* أصعب شىء على المرأة أن تكتم أمراً . شكسبير
* يختبر الذهب بالنار، وتختبر المرأة بالذهب، ويختبر الرجل بالمرأة . شيلون
* امرأة كسيحة فى البيت، خير من امرأة طائشة متسكعة فى الطرقات .

برودون

الأمانة الأولى

الأستاذ الكبير رئيس التحرير بمجلة الأزهر الغراء جولاته القوية الموفقة ، وبحوثه الضافية القيمة ، وتوجيهاته السديدة الرشيدة فى سبيل الإصلاح والمصلحين ، وهو إذ يعالج كيف تنهض الأمة يضع أمله فى العلم ورجال التعليم ، ويطلب إلى وزارة المعارف أن تسارع إلى إصلاح نفسها ... لتبنى نظامها الجديد على تخريج جيل يؤمن بالأخلاق والفضائل .

فإذا تكلم عن مدرسى الأزهر رأى واجباً عليهم أن يقودوا حركة التجديد فى الأخلاق وأنهم أولو الأمر فى الإسلام ، وبخاصة منذ تخلى الخلفاء والملوك والولاة عن قيادة الناس وإمامتهم وإرشادهم الدينى .

ويقول الأستاذ : « إن هذه الأمة أمانة الله فى أعناق علمائها ... وإن الرعاة الذين سيعهد إليهم بعد سنوات قريبة بالإشراف على مئات الملايين من المسلمين هم هؤلاء الألوف وعشرات الألوف من طلبة الكليات والمعاهد الأزهرية فى مصر وأمثالها فى الأوطان الأخرى » .

وهذا الكلام القوى الرائع من مثل الأستاذ فى مكانته وعلمه وجهاده المعروف ، ومن فوق هذا المنبر العتيق الخالد ، سيكون له بإذن الله أثره المرجو فى حفز الهمم الوانية ، وإيقاظ العزائم الخابية ، وتوجيه العقول والقلوب إلى مواطن الضعف ومواقف الإصلاح .

وان الأزهرى فى حاجة إلى أن يسمع هذا الكلام الصادق الجميل ، فلم يخرج الأزهرى عن دنيا الناس يوما ، وإنما هو بشر من البشر ، يسوؤه ما يسوؤهم ، ويسره ما يسرهم ، وطالما سمع القوارص اللاذعة من المحبين والشانئين على السواء ، وطالما آذاه الجحود والنكران حتى أوشك بنوه أن يفقدوا الثقة بأنفسهم ومعهدهم ، من كثرة ما يسمعون ويقرءون على ألسنة قوم يجيدون الهدم ، وقلما يحسنون البناء .

الأزهر مسئول عن تراث النبوة ، ولغة العروبة ، وبلاغ الدعوة إلى العالمين ، ما فى ذلك ريب ، وليس يجديه ولا يعفيه أن يرى السلطان فى يد غيره ، فسلطانه بالدين أقوى ، وعزه بالله أوثق ، وبلدنا والحمد لله بلد إسلامى يستجيب للدين متى وجد من يوجهه إليه فى حكمة وموعظة حسنة .

مكتبتنا العربية

وفى الأزهر قوى كثيرة مذخورة ، وجنوده بحمد الله لا يحصيهم العد ، ولو أحسن توجيههم وقيادتهم لانهضوا مصر عن أقرب طريق وأيسر سبيل ، ومن وراء مصر العالم الإسلامى كله ، ولشع نوره ، وبهر ضوؤه أبصار الغرب والشرق البعيد ، فجاء النصر من الله والفتح ، وكان الدين كله لله .

إنه لحق ، يرونه بعيداً ونراه بتيسير الله قريباً .

ولكن أمر الإسلام يا سيدى ليس واجب الأزهر فحسب ، إنه واجب كل مسلم يستطيعه ، وإذا كان الأزهر يقوم به فرض كفاية عن جميع المسلمين ، فإن حق الأزهر على الدولة أن تمكن له فى أداء هذا الفرض على أكمل الوجوه وأتمها .

وإنما أردت المشاركة بكلمات معقولة أطلقها المقال القيم ، أمانتان ، وأملى فى الإصلاح كبير ، لتدخل هذه الكلمات فى إعداد هذا الجيل من الرعاة للأمة الإسلامية .

إن أول ما يشكوه الطالب الأزهرى فى دراسته صعوبة الكتب ، وكلها أو جلها قد كتب فى عصور تقضت ، ليست هى بأرقى العصور الإسلامية فكرا ، ولا أغزرها علماً ، ولا أعظمها مدنية أو حكما ، بل كان دأب المؤلفين فيها أن يوجزوا فيجمعوا المعانى الجمة ، فى الألفاظ القليلة كأنها ممدوح الشاعر يقول فيه

ويقتضب المعنى الكثير بلفظة ويأتى بما تحوى الطوامير فى سطر

مما اضطرهم إلى الشروح والتقريرات والحواشى ، فلا يسترسل الطالب فى طريق معبد يسير به قدما إلى غايته ، يحبب إليه الدرس ويغريه به ، وإنما ينتزعه من المعنى العام الذى يريد المؤلف أن يؤديه إلى ملاحظة ما تشير إليه لفظة ، أو تفيده عبارة ، أو تعنيه جملة ، أو يستقيم عليه تأويل وتخريج . ولئن كان فى ذلك نوع من التربية لقوة الملاحظة فإن الإسراف فيه جعله ثقلا فادحا معوقا عن التحصيل ، فلا يكاد الدارس ينتهى إلى نهايته حتى يكون استنفد قواه ، وشتت موضوعه ، وتفرقت وحدة مسائله .

وقد كان ذلك هينا نوعا ما ، يوم أن كانت العلوم والمعارف محدودة ، ولم يكن الأزهرى فى حاجة إلى غير كتبه ، وكان هو وحده العالم المشهود له . أما الآن وقد اتسعت المعرفة وكثرت فروعها وتنوعت فنونها ، وشاعت الثقافة ، وصار القارىء أو السامع يلم بأخبار العالم فى دقائق ، ويعلم آخر ماجد من أنباء العلوم والمعارف ، والحياة كلها سباق لا هوادة فيه ،

مكتبتنا العربية

فلم يعد مفهوما أن يظل الأزهرى معنى بهذه الكتب يحمل أثقالها ، فأما أن تبهظه فينوء بها ويتبرم ويود لو تخلص منها - وقلما أجدت على من زهدها وقلاها - وإما أن ينقطع لها ، ويقف حياته عليها ، ويصحبها فى غدوه ورواحه يتألف نافرها ، ويعالج ما استعصى عليه منها ، فإذا ملكها وملكته فهو عن دنيا الناس فى معزل .

وقد أحسن فضيلة الأستاذ الأكبر - أدام الله له التوفيق وأعانه - حينما استجاب لرغبات كثيرة فى هذا الشأن فعهد إلى أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد بتأليف لجان من الأساتذة فى كل علم ، لدراسة أمر الكتب المقررة ، وإبداء الرأى فى مقدار صلاحيتها للدراسة .

ولسنا نريد الوقوف عند حد إبداء الرأى فى الكتب ، ليغير كتاب بكتاب مثله أو أفضل منه ، إنما نريد نهضة علمية شاملة ، تجدد من حياة الأزهر وروحه وقواه ، نريدها نهضة تنتظم هذه القوى الشتيتة ، وتستثير فى ذلك الأسد الرابض نشاطه ، عله ينفض عن نفسه ذلك الخدر الذى طال عليه الأمد .

فى الأزهر كبار الشيوخ ممن تعرف الأمة ، وممن لا يعرفهم سوى الأزهر ولهم فى العلم أقدام راسخة . وفى الأزهر شبيبة ناهضة متبصرة ، فلم لا ينتفع بكل أولئك القوى فى تجديد شباب الأزهر وخدمة الإسلام ؟

لقد ذكر الشيخ الأكبر أن من صميم عمل الأزهر قيامه بناحيتين : ناحية الدرس وتتولاها هيئة التدريس بالمعاهد والكليات . وناحية البحث ، وتقوم بها جماعة كبار العلماء ممن توفروا على بحث قضايا العلم والدين ، لم لا ينتفع بجهود هؤلاء الأعلام فى البحث والتأليف ولم لا تكون هناك اللجان العلمية للمعاهد والكليات ، تتابع النظر فى البرامج ، وتدرس وتقارن وتقرر وتعدل ، مستنيرة برأى الأساتذة القائمين بالتدريس - كما طلب ذلك اتحاد العلماء بالغربية فى مذكرته المرفوعة إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وولاة الأمر فيه .

لقد طلبوا فى جملة ما رأوا من وجوه الإصلاح العلمى :

أن تؤلف لجنة دائمة للشئون العلمية ، لا شأن لها بالنواحى الإدارية ، وليست كتلك اللجان المعهودة !! وإنما يجب أن تعمل جديا على رفع المستوى العلمى والخلقى فى الأزهر ، وأن تستعين بالأكفاء وذوى الرأى وأن يتاح لكل راغب فى الإصلاح الاتصال بها على أن نواجه العام الدراسى الجديد بثمرة هذه الجهود .

مكتبتنا العربية

لسنا نريد إذن مجرد الرأى فى الكتب ، فهناك موضوعات جديدة كثيرة يجب أن يلم الطالب الأزهرى بها ، فقد جد فى الفقه مثلا ما لم يكن معروفا لغير الخاصة وكانوا يتحرجون منه وصار الآن أمرا مقضيا يتعامل الناس عليه فى حياتهم الجارية ، وتعتمده الفتيا الرسمية . وجد فى التوحيد من الآراء والمذاهب والشبه ما يضطر الطالب إلى دراسته وتفهمه ومعرفة وجه الحق فيه . وهكذا سائر العلوم المقرر تدريسها فى الأزهر ومعاهده .

وليكن ذلك الجهاد العلمى بين الاساتذة أساسا لتقدير الكفايات العلمية ، والمكافآت الأدبية والترقيات إلى الكليات والمناصب الكبرى ، وليكن كذلك علاجا ناجعا لكثير من المشاكل الحاضرة التى تزداد على الايام تعقداً .

أما الوسائل الأخرى لإعداد هذا الجيل من ثقافة وخلق ونشاط مدرسى وغيره فإلى مقال تال إن شاء الله .

كمال احمد عوده
المدرس بمعهد طنطا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المسلمون بين يقظتهم وسباتهم

المسلمون على جهالة بعضهم ... عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
أخذوا عن الزمن المشاغب علمها ... وتجرعوه من الخطوب دروسا
أفيبلغون مدى العواصف نوّما ... أم يدركون سنا البروق جلوسا
ليس الذى لبس السلاح كعاجز ... جعل التهيب والنكول لبوسا
قل للألى جهلوا الجهاد وحكمه ... لا تأخذوه محرّفا معكوسا
خوضوا الغمار ، فإن تنالوا مأربا ... حتى تروها تستطير ضروسا
لو ضن معتنق الحتوف بنفسه ... ماناال من دنيا الرجال نفيسا

أحمد محرم

مكتبتنا العربية

كفاح الحياة

قصة كفاح مسلمي الفلبين

حين أشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية ، بدل حياة أهلها من خمول ولهو إلى جهاد وعمل ، فإذا بالأمة العربية المبعثرة التي لم تكن تحس بها الإمبراطوريات العظيمة الموجودة حينذاك ، إذا بها تهز العالم المعروف هزاً ، وتغزو أراضيه ، وتنشر دين الله ، فيدخل الإسلام القلوب ، ويقيم فيها راسخاً لا يزلزله أمر مهما عظم .

وأخذ العرب يسيحون شرقا وغربا ، يركبون متن البحار أو يقطعون الفيافي ، يملأ النشاط جوانب حياتهم ، ويفيض عنهم ، فيغمر من يتصل بهم من شعوب . وعن طريق هؤلاء الرحالة الجوابين في كل الآفاق ، المتاجرين في كل ثغر وميناء ، دخل الإسلام جزر الهند الشرقية ، وتمكن من قلوب أهلها ، فغدت بلادا إسلامية ، وكانت المدنية الإسلامية في القرن العاشر الميلادي تلمع بأسطع أشعتها فتضيء الطريق لكل من يريد أن يهتدي .

وعرفت جاوة والملايو الإسلام عن طريق هؤلاء التجار العرب ، ولم تكن العلاقات التجارية وحدها هي السبب في اعتناق أهلها الإسلام ، وإنما هي قوة العقيدة في نفوس حامليها ، تفيض منهم إلى غيرهم ، فتأخذ طريقها إلى القلوب ببساطتها ، وإلى العقول بقوتها ، فلم يكن عجيباً أن يكتسح الإسلام في هذه الأقاليم الديانتين السائدتين وهما البرهمية والبوذية .

* * *

ودفعت الحالة الاجتماعية أهل الملايو إلى الهجرة ، وكان طريقهم الطبيعي يتجه إلى مجموعة من الجزائر - هي المعروفة بجزائر الفلبين - فوصلوا إليها على ثلاث دفعات ، الأولى ما بين سنة ٢٠٠ - ١٠٠ ق م ، والثانية ما بين ١٠٠ ق . م - ١٣٠٠ م . والثالثة من

مكتبتنا العربية

١٣٧٠ - ١٥٠٠ م ، وكان أهل الملايو فى هذه الفترة الأخيره قد دخل الإسلام قلوبهم ، فنقلوا معهم دين الله الحنيف إلى جزائر الفلبين [١] .

والفلبين مجموعة ضخمة من الجزائر ، يبلغ عددها ٧٠٨٣ جزيرة تقريباً [٢] ، تقع بين خطى عرض ٢١ ، ٤ شمالا ، وخطى طول ١١٦ ، ١٢٨ شرقا ، وهى جزائر بركانية جبلية كثيرة الزلازل ، غنية بحاصلاتها النباتية والمعدنية .

وسكانها الأصليون زنوج أقزام Nigritoes من جنس الAetas ، قاربو الانقراض ، ولا يوجد منهم الآن إلا أقل من ٣٠ ألفاً ، موزعين فى جبال المناطق الكبرى ، يعيشون على الفطرة ، ثم جاء أهل الملايو ، ويكونون العنصر الغالب فى السكان الآن بجانب جاليات صينية ويابانية ضخمة ، وعدد من الأوربيين .

وعدد السكان - حسب إحصاء ١٩٤٨ يزيد عن ١٩ مليونا ، ٤ ٪ منهم مسلمون أى ٨٠٠ ألف نسمة كلهم سنيون ، يقيمون فى جزيرة منداناو وخليج صولو .

أما باقى السكان فيدينون بالمسيحية والوثنية ، وكان توزيعهم سنة ١٩٣٠ كالآتى :

مسيحيون ٨ ٤٨٦،٧١٣ ، مسلمون ٣١٥،٩٨١ ، وثنيون ٧٠٠،٥٧٨ .

ويطلق على المسيحيين لفظ Philippinos ، وعلى المسلمين لفظ Moros [٣] .

* * *

قام فرديناند ماجللان برحلته المعروفة حول الأرض فى أوائل القرن السادس عشر ، وفى ١٦ مارس ١٥٢١ وصل إلى أرخبيل كثير الجزر ، أطلق عليها إسم جزائر الفلبين ، تيمنا باسم الملك فيليب الثانى ملك أسبانيا وقتئذ . ودخلت هذه الجزائر باب التاريخ الحديث من ذلك اليوم ، فحاول الأسبان تثبيت أقدامهم فيها بقوة السيف ، ووطئوا أرضها بقواتهم سنة ١٥٦٥ ، وما لبثوا أن أرسلوا إليها رئيساً دينياً Bishop أسبانيا سنة ١٥٨١ ليشرف على نشر المسيحية فى هذه الجزائر ، بنفس الطرق التى اتبعتها أسبانيا بعد خروج المسلمين من أرضها ، والتى اتبعتها فى كل مستعمراتها ، وهى طرق محاكم التفتيش .

---

(١) عن مجلة Islamic Review عدد يناير سنة ١٩٥٣

[٢] ذكر الأمير شكيب أرسلان أن عددها ١٢٠٠ جزيرة فقط . راجع حاضر العالم الاسلامى .

(٣) ED. 1944 — V. 21. Encyclopedia Americana

مكتبتنا العربية

ومن هنا جاء اصطدام الإسبان بالمسلمين ، الذين أطلق عليهم إسم « مورو » لانهم يدينون بنفس الدين الذى يعتنقه المراكشيون أو « المورو » باللغة الأسبانية ، فقد حاول هؤلاء أن يخرجوا المورو عن دينهم ، ولكن التاريخ يقص علينا أنه ما من شعب اعتنق الإسلام إلا بقى عليه ، وليس ثمت أمة اعتنقت هذا الدين الحنيف وتركته . وثار المورو من أجل دينهم ، وثاروا من أجل حريتهم فكان كفاحهم العنيف ضد المستعمرين .

يروى تاريخ المورو أن « مقدم » أحد العلماء المسلمين من ملقا نزل بساحل جزيرة صولو وأرسى أول حجر فى تاريخ الإسلام فى الفلبين ، ثم توالى قدوم العلماء المسلمين وعدد من أمرائهم ، فأنشأوا الممالك ، ونشروا العدل ، وعدلوا نظام الحكم إلى النظام الإسلامى (١) ودخل أهل هذه الجزائر فى دين الله أفواجا ، وعم نور الإسلام أنحاء كثيرة منها حتى جاء الإسبان .

وأراد الإسبان أن يغتصبوا الأرض ، وأن يستعبدوا الناس ، وأن يحولوهم إلى الدين المسيحى . واستجاب الوثنيون إلى رغباتهم ، أما المسلمون فوقفوا دون أرضهم وحريتهم وعقيدتهم وقفة الأبطال واستمروا يكافحون ضد المستعمرين قروناً طويلة استشهد فيها منهم عدد عظيم ؛ ولكنهم حفظوا استقلالهم بشرف دفاعهم . ولم يمكنوا الإسبان منهم .

بدأ الإسبان العدوان ، فأرسلوا حملة ضد مسلمى صولو سنة ١٥٧٨ فاستولت عليها على الرغم من الدفاع المجيد والمقاومة العنيفة . وكانت هذه الحملة بدءا لسلسلة طويلة من الغزوات والحروب بين المورو والإسبان ، كان النصر فيها سجالا بين الطرفين . وكان الإسبان يستعينون بالفلبينيين المسيحيين ، ولكن الثورات ما لبثت حتى عمت أهل الفلبين جميعاً ، وأخذ النصر تتأرجح كفته بين أصحاب البلاد المؤمنين بدينهم وحقهم فى الحرية ، وبين المغتصبين المعتزين بقوتهم وطغيانهم .

ورأت إسبانيا أنها لن تجد سبيلا إلى الاستقرار ، وأن السلاح القوى فى أيدى جنودها لن يجديها نفعاً ضد هؤلاء المسلمين المتعطشين إلى الموت فى سبيل دينهم وحريتهم ، ومن ثم عمدت إسبانيا إلى عقد المعاهدات معهم ، وكانت أولى هذه المعاهدات سنة ١٦٤٥ ، وأهم بنودها النص على التبادل التجارى .

---

(١) لا يزال هؤلاء يكونون الطبقات الحاكمة (دائرة المعارف البريطانية) .

ولكن لم تلبث الحرب أن استؤنفت .

وشهد النصف الثانى للقرن الثامن عشر أعنف صور الحرب بين المورو والإسبان ، فأخذ الأولون يشنون هجماتهم فى قوة وعنف على المراكز الإسبانية ، ويكبدونهم خسائر فادحة فى المال والأرواح والعتاد .

وكان المورو إذا فقدوا أحد مراكزهم ، انتقلوا إلى غيره واتخذوه قاعدة يشنون منها هجماتهم ، كانوا كتلة من الإيمان المشتعل ، لا يخمد لهم أوار ، ولا يفل لهم عزم ، كان النصر يدفعهم إلى نصر آخر ، وكانت الهزيمة تؤلمهم فى نصر قريب .

وإزاء هذا الإصرار الكريم فى الدفاع عن الأهل والأرض ، جلا الإسبان عن منداناو وصولو سنة ١٨٩٩ ، وحل محلهم جنود أمريكيون [١] ، واضطر هؤلاء إلى الحرب أيضاً ، فخسروا خسائر فادحة فى أيام قليلة ، ورأوا أن يبحثوا عن السلام بعقد معاهدة مع المورو ، وبسطوا وجهة نظرهم وهى أنهم لم يجيئوا مستعمرين للنهب والاستغلال وفرض الدين المسيحى ، ثم عقدت معاهدة عرفت باسم معاهدة Bates نال بها المورو الحكم الذاتى وتعهد الأمريكيون باحترام دينهم ، وحلت فترة من السلام والاستقرار فعمروا ما خربته الحرب ، وأقاموا المدارس . [٢]

وهكذا كان المورو سكان جزر منداناو وصولو أعظم أهل الفلبين شجاعة وبطولة ، فقد فشل الإسبان فى إخضاعهم رغم أربعة القرون التى استغرقها الكفاح بينهما .

* * *

استقر المورو فى بلادهم ، واطمأنوا إلى حريتهم وإلى دينهم ، ولكن انشغالهم هذه القرون الطويلة بالكفاح جعلهم لا يعرفون من أمور دينهم إلا القليل ، فرأوا أن يولوا وجوههم شطر البلاد الإسلامية يسألونها العون للتفقه فى أمور الدين .

ولم يكن أمامهم سنة ١٩١٣ إلا تركيا ، فأوفدوا اليها رسولا يلتمس إرسال مرشدين لتفقيه مسلمى الفلبين فى أمور الدين ، واستجابت المشيخة الإسلامية فى استانبول إلى الالتماس ، فأوفدت أحد العلماء العرب وجعلته أشبه بإمام للفلبين [٣] ، واستقبله المسلمون هناك أجمل

---

(١) نشبت الحرب بين أمريكا وإسبانيا فى الفلبين سنة ١٨٩٨ وانتصرت أمريكا ، وفى معاهدة باريس نزلت إسبانيا لها عن جزائر الفلبين نظير ٢٠ مليون دولار .

(٢) تذكر دائرة المعارف البريطانية أن المورو عظيمو الاحترام لأنفسهم ، وعلى قدر كبير من الكرامة الشخصية ، شديدو الشوق للتعليم ، يميلون إلى الموسيقى ، كرماء ، وهم جنس مثالى جم الأدب . V. 17-P. 730.

(٣) عن كتاب حاضر العالم الاسلامى ـ تعليقات شكيب أرسلان ـ للطبعة السلفية .

وأحنى استقبال ، وبدأ فى تحقيق مهمته لولا أن دهمه المرض فعاد إلى بلاده ، ثم أبت المشيخة الإسلامية (فى تركيا) أن تعنى بالأمر بعد ذلك ، مهملة أمر المسلمين فى الفلبين ، فرأى المبعوث ، بعد أن أبل من مرضه ، أن يعود على نفقته ، وقد ذكر فى بعض تقاريره أن مسلمى الفلبين يتراوح عددهم بين مليون ومليونين . (١)

* * *

وكنت أود - حتى ينتهى هذا الحديث نهاية منطقية - أن أتحدث عن الصلة التى قامت بين الأزهر ، وبين مسلمى الفلبين ، ولكنى لم أجد لدى مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالجامع الأزهر ، الأوراق التى تبين طبيعة هذه الصلة ومبدءها وتطورها ، بحجة ضياعها من المراقبة فى العهد السابق ، وهو أمر مؤسف ، إذ أن مثل هذه الأوراق والمراسلات إنما هى ملك للمسلمين جميعاً وللتاريخ ، وفى ضياعها ضياع لكثير من الحقائق التى كان يجب أن تبقى وأن تذاع .

ومهما يكن من أمر ، فقد انتقلت زعامة العالم الإسلامى ، بعد الحرب العالمية الأولى إلى مصر ، فكان طبيعياً أن تتجه أنظار المسلمين إليها ، وأن ترنو قلوبهم نحو جامعتها الأزهرية العظيمة التى هى حلم كل مسلم فى مختلف أرجاء العالم .

وكانت قد تكونت فى الفلبين عدة جمعيات إسلامية تهدف إلى الرقى بالمسلمين ، وتعمل على تفقيههم أمور دينهم ، واتصلت هذه الجمعيات بالأزهر ، فرأت مشيخته أن توفد إلى هذه الجزائر اثنين من الأندونيسيين المتخرجين فى الأزهر - وهما من أبناء أقرب الشعوب الإسلامية إلى شعب الفلبين - لتفقيه المسلمين فى أمور دينهم ، فسافرا حوالى عام ١٩٥٠ م ، ولا يزالان يعملان - تحت إشراف الأزهر وعلى نفقته - على أداء رسالة الأزهر السامية ، فأنشآ بعض المدارس ، وعمرا كثيراً من المساجد ، وبذلا الجهد الكبير للرقى بهؤلاء القوم الذين طالما كافحوا من أجل دينهم وحريتهم .

عمر طلعت زهران
أستاذ فى الآداب

---

(١) عددهم فى إحصاء ١٩٤٨ نحو ٨٠٠ ألف فقط . والاحصاءات الأجنبية للمسلمين فى أوطانهم كثيراً ما يعتمد فيها نشر أرقام قديمة لاحصائيات قرن سابق ، ومن هنا يظهر التفاوت بين ما يعرفه المسلمون عن عددهم وما ينشره الأجانب عنه .

مكتبتنا العربية

النقد الأدبي وتاريخه

في اللغة ، النقد والتنقاد : تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها . ومن المجاز نقد الكلام : ميّز جيده من رديئه . وكان العلماء المتقدمون يريدون بنقد الكلام تعقب الأدباء وبيان أخطائهم . وقد ألف أبو عبد الله المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ كتاب (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) ضمنه عيوب الشعراء العائدة إلى سقطاتهم في اللفظ والمعنى أو الوزن أو القواعد .

وكانت كلمة « النقد » تقابل كلمة « التقريظ » المراد بها بيان المحاسن والكشف عن مواطن الجودة والصواب . والمراد بالنقد في اصطلاح مؤرخي الآداب دراسة النصوص الأدبية دراسة تفسرها وتشرحها وتحللها وتوازن بينها وتحكم عليها حكما يكشف عن قيمتها في نفسها ودرجتها بالنسبة إلى غيرها . وبعبارة أخرى هو « التقدير » الصحيح للأثر الأدبي ، وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى ما سواه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تاريخ النقد

وقد نشأ النقد موجزاً مرتجلا ، فقد كان في العصر الجاهلي نقد أدبي لكنه فطري يعتمد على الذوق يسير ملائماً للعصر الجاهلي وللشعر الجاهلي نفسه . فالشعر الجاهلي إحساس محض ، والنقد كذلك ، كلاهما مبني على انفعالات نفسية وتأثر بما يشاهد أو يقرأ أو يسمع . وهو جار على السنن الطبيعي لكل نقد أول نشأته فالعربي مرهف الحس ، سريع التأثر ، تنال القصيدة الرائعة منه فيطرب لها ، وتؤذيه الكلمة النابية فينفر منها . وفي كلتا الحالتين يحكم على هذه الآثار بذوقه وبنظرة عاجلة ، غير معتمد في حكمه على أسس موضوعة ، أو أصول مقررة .

ومن أجل هذا نستطيع أن نقول إن النقد الأدبي في هذا العصر لا يتعدى أن يكون مآخذ على الشعر هدى إليها الأدباء والشعراء بطباعهم . وعيوباً دلهم عليها ذوقهم السليم .

مكتبتنا العربية

وظل النقد على فطرته وسذاجته فى صدر الإسلام فلم يعلل ناقد حكمه ، أو يبين الأسباب الموجبة للتحسين أو التقبيح ، وإن كان قد تقدم بعض الشىء مسايرة لسنن الارتقاء . فالرواة يحدثوننا أن عمر بن الخطاب فضل زهيراً على الشعراء بأنه كان لا يعاظل فى الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . فهو يشرح لنا سبب التفضيل بأنه كان واضح المعنى ، تكشف العبارة عنه ، ليس فيه غريب ولا تعقيد ، بعيد عن الإفراط فى المدح . ففضل زهير يرجع إلى وضوح أسلوبه . فنى هذا العهد مال النقد إلى شىء من الدقة وحاول أن يترجم عن بعض الخصائص الفنية لاتساع تفكير العرب بما فتق القرآن الكريم من عقولهم وصفى من أذهانهم . لكنه لم يعد أن يكون يافعاً خاضعاً للانفعالات النفسية والأذواق الفطرية فلم يضف شيئاً جديداً إلى النقد وأساليبه .

وفى النصف الأخير من القرن الأول تغير النقد وتعددت مذاهبه ، وهو الوقت الذى يمكن أن نؤرخ به النقد الأدبى ، فقد قويت نهضة الشعر وتعددت بيئاته وتبارى الشعراء فى تجويده وتهذيبه ، وساعد على ذلك إحياء العصبية وقيام الحروب الداخلية وشيوع الغناء بالحجاز وتتابع الوفود على الخلفاء والولاة ، فتقدم النقد وتناول اللفظ المفرد والمركب والمعنى والخيال والوزن ، وصرنا نسمع « صفاء الطبع » و « جمال الصنعة » و « الجزالة » و « رقة الأسلوب » و « متانة التركيب » و « القوافى المختشة » وتناول فنون الشعر كلها ، وشمل المفاضلة بين الشعراء ، وقسمهم إلى طبقات ، ودار بين فحول الشعراء كجرير والفرزدق والأخطل وشعراء الغزل كجميل وكثير وعمر بن أبى ربيعة والأحوص وغيرهم ، ولاحظ الصلة بين الشاعر وبيئته . فعدى بن زيد ليس فى مرتبة المتقدمين من أقرانه لأنه حضرى مقيم بالحيرة فنال ذلك من ملكته الشعرية واللغوية . وابن قيس الرقيات لا يوثق به لأنه أقام بتكريت .

ومع هذا التقدم ، فإن النقد إلى هذا العهد يعتبر امتداداً للنقد الجاهلى وشبيهاً به فى قيامهما على الذوق واعتمادهما على السليقة .

وفى القرن الثانى نهض الأدب والنقد لتقدم النشاط العلمى وتطور الحياة الاجتماعية وقيام ثورة على الأدب القديم تولى كبرها فحول الشعراء أمثال بشار وأبى نواس وأبى العتاهية

مكتبتنا العربية

ومسلم بن الوليد ، وتبع ذلك قيام النقاد يفضلون بين مذهب وآخر فوجد من يتعصب للقديم فيؤثر عفو الخاطر وجمال الطبع ، ومن يتعصب للحديث فيؤثر الصناعة والتعمق فى المعنى ، وتنتهى أصول النقد عندهم إلى أصلين عامين : ما يسرى إليهم من العصور السابقة وما تجدد لهم من أثر الفلسفة والجدل والبلاغة والمنطق . ولكل طائفة آراؤها التى ذهبت إليها وأنصارها المؤيدون لها . وجد المبرد والسكرى من اللغويين وابن المعتز صاحب كتاب البديع من الأدباء وابن قتيبة من العلماء وقدامة صاحب كتابى نقد النثر ونقد الشعر من الذين تأثروا بالفلسفة ، وكان من آثار ذلك تفاوت مناحى النقد والوقوف على خواص الشعر المحدث وما يؤخذ عليه وإن لم يبلغ رجاله فى التفسير والتعليل ما بلغ نقاد القرن الرابع فإن النقد فى هذا القرن بلغ أوفى غاية الغايات من حيث شموله وعمقه ودقته ، ونضجت ملكة الذوق عندهم لطول ممارستهم للآداب ونظرهم فى أعقابها وموازنتهم للآثار الأدبية ، فاجتمع لهم جمال الطبع وحسن الصنعة وصفاء الذوق ، فنقدوا الآثار الأدبية نقداً عميقا واسع الآفاق ، فيه تحليل للظواهر الأدبية وردّ لها إلى أصولها الصحيحة ، ودارت معركة عنيفة بين أنصار أبى تمام وأنصار البحترى ثم بين أنصار المتنبى وخصومهم ، وكسب النقد من وراء ذلك كتبا قيمة مثل كتاب (الموازنة بين الطائيين) للآمدى و (الوساطة بين المتنبى وخصومه) للجرجانى . ورسالة الصاحب بن عباد فى (الكشف عن مساوىء المتنبى) ودخلت مسألة السرقات الشعرية فى باب النقد ، ولم يبق شىء يمكن أن ينقد غفل عنه أدباء القرن الرابع ولم يشرعوا فيه .

وكان هذا النقد الأدبى العامل الأول فى نشأة علم البلاغة ، فإن هذه المآخذ والآراء تحولت إلى قوانين علمية هى قوانين البلاغة .

عبد الغنى اسماعيل
المدرس فى كلية اللغة

أيهما المعتدى ؟

لو كنت قاضيا ، ورفع إلىّ شاب تجرأ على امرأة فسبها أو احتك بها أو طاردها أو أسمعها ، وتحقق عندى أن المرأة كانت سافرة مدهونة مصقولة متعطرة متبرجة لعاقبت هذه المرأة عقوبتين : إحداهما بأنها اعتدت على عفة الشاب ، والثانية بأنها خرقاء كشفت اللحم للبرد .

مصطفى صادق الرافعى

مكتبتنا العربية

الفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

اتجهت النية إلى نقل رفات شهداء حملة فلسطين من مقابر سيناء إلى المقبرة الجديدة بالحفير التى أعدت تكريما لهؤلاء الشهداء وتعزية لآلهم الذين كرروا الرجاء لنا بطلب نقل رفات شهدائهم إلى القاهرة .

فنرجو التكرم بإفادتنا عن المراسيم الدينية التى تقتضيها الشريعة الإسلامية الغراء أثناء النقل وعند الدفن ، مع العلم بأنه سبق أن اتخذت حيالهم المراسيم الدينية كشهداء عند دفنهم هناك .

ملاحظة : الشهداء المذكورون منهم من صلى عليه ومنهم من لم يصل عليه قبل الدفن ولم يعلم من صلى عليه من غيره . وأيضا قد كان مع المسلمين مقاتلون من غير المسلمين ولا يتميز المسلم من غيره . فنرجو الإفادة عن ذلك .

قائم مقام
رئيس إدارة الجيش

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان الملحق به . وتفيد بأن الشهداء الذين قتلوا فى المعركة من المسلمين وغيرهم لا يغسلون بل يدفنون بجروحهم ودمائهم وثيابهم التى عليهم بعد أن يصلى عليهم ، وثيابهم هذه هى كفنهم لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، لكنه إذا كانت ثيابهم لا تكفى لتغطية أجسامهم فينبغى أن يزاد عليها ما يكفى لذلك ، كما ينبغى أن ينزع عن كل منهم حذاؤه وجوربه ومنطقته وقلنسوته وسلاحه وكل ما ليس من جنس ثياب الكفن .

وإذا كان هؤلاء الشهداء قد صلى عليهم قبل دفنهم فى مقابر سيناء فلا تعاد الصلاة عليهم مرة أخرى . أما إذا كانوا قد دفنوا من غير صلاة ، فإنه يصلى عليهم هناك قبل نقلهم ،

مكتبتنا العربية

أو يصلى عليهم فى مصر بعد نقلهم إليها ، كما أنه يصلى عليهم لو كان هناك شك فى أنه صلى عليهم قبل ذلك .

وإذا اختلط بهؤلاء الشهداء غيرهم من الذين كانوا يقاتلون معهم من غير المسلمين ، ولم يمكن التميز بين المسلمين وغيرهم لأجل الصلاة على الشهداء ، فإنه يصلى على الجميع بنية الصلاة على الشهداء . وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

نرجو التفضل بالإفتاء على مذهب الإمام الشافعى أو على غيره من المذاهب عن صرف البعض من زكاة التجارة على غير الأصناف المذكورة فى الكتاب الكريم :

أولا — إذا صرف البعض من زكاة التجارة على المدارس الدينية التى ليست لها أوقاف ولا مساعدة من أغنياء المسلمين تقوم بالكفاية ، وأن آباء التلاميذ لعاجزون عن القيام بنفقات الأساتذة أو يحصل منهم شىء ، وإذا لم تجمع كمية وافرة من زكاة التجارة التى تسد رواتب الأساتذة لسنة كاملة تتوقف تلك المدارس عن مباشرة عملها وسيعيش الأولاد فى ظلمات الجهل .

ثانياً — إذا صرفت أيضاً لتأسيس المدارس الدينية أو لعمارة المساجد أو لإعانة الملاجىء التى يأوى إليها الفقراء العاجزون عن الكسب وليس لهم من يعولهم ، أو على غير ذلك من المشروعات الخيرية . فهل يجزى صرفها على المشروعات الخيرية التى ذكرناها .

سعيد بن صالح السبيانى
التميمين

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه يجوز الصرف من الزكاة على المدارس الدينية التى ليست لها أوقاف ولا مساعدات من أغنياء المسلمين تقوم بكفايتها مع عجز آباء التلاميذ عن القيام بنفقات التعليم فى هذه المدارس كما هو وارد فى السؤال .

وكذلك يجوز صرفها فى تأسيس المدارس الدينية وعمارة المساجد وإعانة الملاجىء ،

مكتبتنا العربية

التى يأوى إليها الفقراء العاجزون عن الكسب وليس لهم من يعولهم ، وغير ذلك من المشروعات الخيرية وأعمال البر .

وهذه الجهات تعتبر من « سبيل الله » الذى جاء فى آية مصارف الزكاة وهى قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية » فإن سبيل الله ليس مقصوراً على الجهاد ، بل هو شامل له ولكل ما هو من أعمال البر والخير . وبهذا تفتى اللجنة ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

إن لجنة جامع بلودان فى جمعية الهداية الإسلامية بدمشق قد عزمت على بناء جامع فى قرية بلودان يتسع للمواطنين والمصطافين الذين يقصدون هذا المصيف الجميل . وقد أقبل على هذا المشروع جمهور كبير من ذوى الغيرة والدين مما جعل اللجنة على ثقة من فضل الله الكريم بنجاح هذا المشروع الإسلامى .

ولكن بعض الجيران من المسيحيين أراد المساهمة فى بناء هذا الجامع بالتبرع بشىء من الأرض لتأمين الوصول إلى حديقة الجامع ، وبعضهم تنازل عن مواسير حديدية لا فائدة له منها ويستفيد الجامع بنقل مائه بواسطتها . فهل يجوز شرعا قبول هذا التبرع منهم . كما نستفتيكم فى جواز قبول المال ممن يتبرع من المسيحيين ليضم إلى المال الذى ينفق على عمارة المسجد .

أمين سر جمعية الهداية الإسلامية

بدمشق

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه لا مانع شرعا من تبرع المسيحيين للمسجد بقطعة الأرض المشار إليها ، أو بمال ، أو بأدوات يستعان بها فى بنائه . وقد نص فقهاء الشافعية فى معتمدات كتبهم على جواز وقف غير المسلم على المساجد ونحوها مما هو قربة عند المسلمين . وجاء فى المادة السابعة من قانون الوقف المعمول به فى مصر رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ ما نصه « وقف غير المسلم صحيح ، ما لم يكن على جهة محرمة فى شريعته وفى الشريعة الإسلامية » .

ومتى كان الوقف من غير المسلم على المسجد جائزاً فيكون التبرع بغير طريق الوقف جائزاً أيضا . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

مكتبتنا العربية

بين الجد واللعب

خطرات - في فترات - تجد، فتكد، وتسف فتحف

البينات

تلوت خبراً رقيقاً عن دابة كانت فاقدة فردت ، فقال مالكها في إثبات ملكيتها : إنه يتقبل أن ترسل دابته في أطراف بلده ، فإن لم تعمد إلى داره ، فليست بدابته !!! ، على أن القانون - فيما يقولون - لا يقر هداية الدواب ، كما يقر الشهادات !!!

خبرٌ طريفٌ ، على أن لي فيه هذا الحديث الطلي المجدي :

اتخذ رجلٌ مريبٌ ، بيتاً مريباً في ضاحية بغداد ، يأوي إليه المريبون ، فلما أُخذ بفعلته ، جحد تهمته ، فقيل له إن دواب المكارين كلها تعرف بيتك ، لكثرة ما تغشاه بركابها !!! ، فلما أرسلت عمدت إليه !!! ، فقال الرجل : إن الله عز وجل يقول : « ممن ترضون من الشهداء » ، وأنتم تسمعون شهادة الحمير !!! .

هزلٌ هذا ، ربما كان أداة الجد !!! ، أما أن القانون لا يتقبل مثل هذه البينة أو القرينة ، فإن فيه مقالا للتشريع :

كان الفقه الإسلامي يقول في البينة : إنها الشهادة ، حتى قال الإمام « ابن تيمية » ، أو تلميذه « ابن القيم » ، أو هما معاً : كلا ، إن البينة كل ما أبان الحق[1] !!! ، فكان هذا الرأي من عالم إسلامي خطير ، مفخرة التشريع في الإسلام والشرق ، بل وفي الغرب !!! .

لقد سبق الإمام « ابن تيمية » وتلميذه « ابن القيم » أساطين العلم والقانون في الشرق وفي الغرب حين قالا : إن البينة كل ما أبان الحق ، لا الشهادة وحدها ، فأدخلا في البينات كل ماهو بسبيل من إبانة الدعوى ، وجلاء الحقوق . أجل ، إن التحليل الكيماوي ، والتصوير

---

(١) المجلة - إن الامام ابن القيم توسع في بيان ذلك في كتابه « أعلام الموقعين » عند شرحه كتاب أمير المؤمنين عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة .

مكتبتنا العربية

والخط ، والصوت فى الحاكى والتسجيل ، وتهدّى الحيوان ، هذا ، مما يبين الحق من البينات ، بما هو عماد العمل فى القضاء العصرى . ولقد كان قبل « ابن تيمية » وقبل تلميذه ، من القرينة على الجريمة !!!

لعينى البيان :

الكناية فى الأدب العربى طلاوة البيان ، سحر الاحسان ، بل هى قيد الحسن ، مغزى الجمال .

قال شاعر يتبرم بليله يتبلد ، وصبحه لا يتبلج :

أســـدوا مسارح ليل العرا ق أم صبغوا فجره أسودا ؟؟؟

« صبغوا فجره أسودا » معجزة البيان العربى كله . أما السحر بجملته ، فى جلال الشعر ، وأما الفتنة البحتة ، فى وقار الحشمة : وعزة العصمة ، فتلك كلمة « ليلى العفيفة » فى قصيدتها التى تستعدى فيها قومها ، وأخاها ، وابن عمها « البراق » حيث تقول فى إسارها والنيل منها :

ليت « للبراق » عينـــا فترى ما ألاقى من بلاء وعنا

ثم تقول فيها من الكناية الساحرة :

قيـــدونى ، غـللونى ، ضربوا « ملمس العفة » منى بالعصا ! !

لقد درجت عصور الأدب كافة ، على أن فى كلمة « ليلى العفيفة » « ملمس العفة » نفثة السحر ، لا فتنة الشعر ، وحشمة الحياء ، فى ثوب الإباء .

بيد أننى لست أدرى : لم ؟ ؛ ولا كيف ؟ ، تلغى تلك الكلمة على عمد ؟ ، لهذا العهد ، وتبدل بكلمة أخرى ؟ ، وهى عفة خفرة ؟ ، يندى لتركها البيان والاغنيات ، وجبين الخفرات .

قديم وجديد :

أطبقت الآراء كافة ، وزكتها صور الرجالات المماثلة ، على أن المثقف القديم إذا اتسق له أن يكتسى إلى قديمه مسحة من جدة العلم والحياة ، ويحذق طرازاً من المدنية ، كان رجل الدنيا ، ظفر بالأجازتين ، وذهب بالحسنيين ، كذلك أطبقت الآراء ، وزكتها المشاهدة ، على أن الدارس إذا كان قديما بحتاً ، لم تصقله جدة العصر والعلم ، فإن عجائز القرى ، وقعائد الأكواخ ، أقوم منه لباً ! ، وأنضر تحضراً ! .

مكتبتنا العربية

نبأ ساحر عجب ، لا بالعجيب ولا المستندر ، أن تأخذ الشرطة بالأمس مسجديا يتجر فى المخدرات ! ! ؛ ويتصرف فى الأفيون ! ! ، ولست أمارى فى أن هذا المسجدى تنزل عليه وحى كتبه العتيقة المتبذلة ، التى تؤمن بأن « حشيشة الفقراء » على التمثيل ، كانت من كشف أبناء الطرق الصوفية ، فليست كبيرة الحرمة ، وإن ذهبت بالحرمة ! ! ! .

تعالى الله ماشاء ، لقد تبلج الدين ، وتوضح اليقين ، بأن كل ما عدا على الجسمان من المآكل حرام قراح ، حتى الخبز ، وكل ما سطا على اللب والحصاة من الشراب حرام محض ، حتى اللبن ! ! !

هذا المتجر المتصرف فى المخدرات والأفيون ، قديم الدراسة ، غاب عن أنظمة العصر ! ! ولم يشهد تحضر القانون ! ! ! الذى يحظر كل ما سطا على الجسمان ، واستلب اللب ، ولو شهد العصر ! ! ! ، لتعلم حرمة المخدرات كحرمة المخدرات ! ! ! . .

ولو شئت أشهدتك ، دارساً قديماً ، إن شئت حذقت على يده الصناع المبتكرة ، تزييف النضار والعسجد ! ! ! ، بالنحاس ! ! ! وصرف الدرهم ديناراً ! ! ! يصنعه عن فتيا ، بل دعوى .

رأى عتيق زائف عند ذلك المزيف وأشباهه من قدامى الدارسين ، أن سك النقدين لا يحظر إلا حيث يكون الحاكم الشرعى القائم ، والخلافة إسلامية ! ! ! فيها أمير المؤمنين ومنبر .

أما أن يتقى الدارس القديم معرة القانون ، والعهد ، فلا يرى الجمهرة بفتكة ضخمة من التزييف ، وجميعة نكراء ، من إتلاف النقد ، لا ينادى وليدها ! ! ! ، فليس هذا منه فى رأى بعد ، ولا هو مما يعتد ! ! !

من يدخل الأفيون بيت لهانه فليلق بين يديه نقد حياته ! ! !

تلك المسجدية القديمة كما تشهد ،

أما حديث « أبو سمرا ! ! ! » فذاك أن علامة كبيراً قديم الدراسة ، لقينى ، فقال لى : أبلغك تحية « أبو سمرا ! ! ! » ، فقلت حياه الله ، أحسبه بعض من يداخلنا من السوقيين والخدم ! ! ! ، ثم مضيت ، ومضى .

تكشفت دخيلة الأمر فى « أبو سمرا ! ! ! » الذى يبلغنى الأستاذ الكبير تحيته ، عن سيد عربى أصيل ، هو بضعة من الزهراء بنت محمد صلوات الله عليه ! ! ! ، وهو على هاتيك

مكتبتنا العربية

عالم مدرس عريق، وشاعر كبير ، بيد أن أشعة الشمس الوقادة ، نفضت عليه لون السمرة !!! وكأن الأستاذ لجهالة التاريخ !!! ، لم يسمع بأن فى السمر بعد ، إلا عبد !!! .

هما خطتان : إما دراسة مدنية حديثة ، وأنت سيد من العلماء ، وإما دراسة عتيقة بحتة ، ولست وإن طاولت السماء ، من العلماء !!! .

بيض محول :

فكاهة ساحرة ، أو دعابة ساخرة ، فقد يفرط الجد ، فيكد ، وتسأم حين تدأب ، فتلعب !!! ، قال شاعر ، أشك فى أنه « أبو دلامه » يهجو عبد الصمد بن المعذل ، الشاعر :

ابن المعذل من هو ومن أبوه المعذل !!!
سألت ، وهبان ، عنه فقال « بيض محول » !!!

« بيض محول » هذا مغزاه أن عبد الصمد ليس لأبيه بل هو « لغية » ! .

سمع « وهبان » بائع الحمام هذا ، فخاف معرة الهجاء من عبد الصمد بن المعذل ، فطاف على مجالس العلماء وأنديتهم فى المساجد ، يقسم لهم : أنه لم يقل إن عبد الصمد بن المعذل « بيض محول » فقال عبد الصمد : من يعذرنى من « وهبان » فإن طوافه على الناس فى المحافل يقسم لهم : إنه لم يقل إن عبد الصمد بن المعذل « بيض محول » أغيظ لى من الهجاء ، بهذا الشعر البارد !!!

هذه طرفة التاريخ الأدبية ، أما طرفة الأدب العصرية ، فهى هذه :

حرش شيخ من شيوخ القضاء والأدب ، تغمده الله برحمته ، أديبين هما اليوم فى رحمة الله مثله : أحدهما شاعر وزجلى مقتدر ، والثانى طالب علم دينى قديم ، وزين لهما أن يتهاجيا ، وجعل لمن يدمغ صاحبه بالهجاء جائزة يظفر بها ، وإن كانت دراهم معدودة ، فقال الشاعر يهجو صاحبه الطالب ، فدمغه :

حتى متى أنا صامت وعن الأعادى ساكت
لعن الإله معاشرا الجهـــل فيهم ثابت

فتبلد الطالب الدينى طويلا ، ثم قال تافهاً :

قال النبى المقتمه ابن الأمه ما ألامه !!!

مكتبتنا العربية

استطير الشاعر فرحة وطرباً بهذه المقالة ، أو هذه النبوة ، واغتنمها من صاحبه !!! ، والشاعر فكه مرح ، فأقسم ليبلغن من يملك أمر هذا الطالب . أنه يتكذب على النبي صلوات الله عليه حيث يقول :

قال النبي المنتمه ابن الأمه ما ألامه !!!

وعنده ، وهو أكبر يقينه ، لا ظنه ، أن النبي صلوات الله عليه لم يقله ، وقد أوقع ما تهدد به !!! ، فتغضب رؤساء الطالب غضبتهم الدينية ، على شاعر يصنع على النبي أنه قال « ابن الأمه ، ما ألامه » فتبوأ مقعده من النار !!! ، فحشدوا لمحاكمته مجلساً علمياً ، ثم فضوه ، حين قيل لهم : بعض هذه الأضاحيك !!! ، إنها هي مجانة أدبية ، ومساجلة فى قهوة !!! ماجنة ، بين أديبين ، ليست من الدين ، ولا اليقين !!! .

إن التفاهة الساخرة أن تجد الغضبة ، والحديث يلعب !!! ، ولعل أخذ الطالب الاديب بالكذب على النبي صلوات الله عليه ، فى حديث بشاشة وفكاهة ، أغيظ له من نصرة خصيمه عليه ، كما كانت براءة « وهبان » من مقالة « بيض محول » أغيظ لابن المعذل الثائر ، من هجاء الشاعر !!!

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

« السير »
عضو المجمع اللغوى

الطبقة المتوسطة

حكى عن ابن المعتمر السلمى قال :

الناس ثلاثة أصناف : أغنياء ، وفقراء ، وأوساط .

فالفقراء موتى ، إلا من أغناه الله بعز القناعة .

والأغنياء سكارى ، إلا من عصمه الله بتوقع التغيّر .

وأكثر الخير مع أكثر الأوساط ، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء ، لسخف الفقر وبطر الغنى .

مكتبتنا العربية

البلاغة والتجديد

— ١ —

البلاغة العربية مدينة فى نشأتها الأولى لجهود علماء اللغة والأدب ، ولمثابرة الرواة والنقاد والباحثين فى أصول البيان العربى ؛ مع الأثر الفذ الذى أحدثه الكتاب والشعراء والأدباء فى القرن الثانى والثالث الهجرى .

ولقد تلاحقت الثقافات ، واتصلت المعارف ، وتبودلت الأفكار ؛ فى عواصم العلم والثقافة فى العالم الإسلامى القديم ، على أيدى العرب الذين نبغوا فى اللغات الأجنبية ، والموالى الذين حذقوا اللغة العربية وأجادوها ، والمترجمين الذين كانوا همزة الوصل بين الثقافات القديمة والثقافة العربية الإسلامية الأصيلة .

كان خلف لا يشق له غبار فى صناعة النقد ، لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها ، [١] . وكان أبو عبيدة يعجب من فطنة بشار وجودة قريحته وصحة نقده للشعر [٢] ، وكان خلف يعجب من نقده للشعر ومذاهبه [٣] . وكان الجاحظ [٤] يرى أن بشارا زعيم المولدين . ثم جاء ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المدبر وابن المعتز ، فكان لجهودهم أثر كبير فى نشأة البلاغة ونمو البحث فى أصول البيان .

ولا ننسى جهود طائفة أخرى من العلماء فى إثارة البحوث البلاغية والتعليق عليها ، وتلك الطائفة هى جماعة العلماء الذين شغلوا بالبحث فى إعجاز القرآن الكريم وتفهم أسرار هذا الإعجاز والتأليف فيه ، فكشفوا الكثير من غوامض البلاغة وأصولها ، ومن هؤلاء أبو عبيدة والجاحظ وسواهما من أئمة المعتزلة ونحوهما .

وعلى أيدى قدامة وأبى هلال والآمدى والقاضى الجرجانى وغيرهم من أفذاذ النقاد فى القرن الرابع الهجرى ، نرى البحث البلاغى ينمو ويقوى ويزدهر . . ثم تلاهم الباقلانى وابن سنان وابن رشيق من علماء النقد والبيان .

---

(١) ١٩٧ / ١ العمدة
(٢) ٢٠٧ طبقات ابن سلام
(٣) ٢٣ / ٣ الأغانى
(٤) ٩١ / ١ العمدة

مكتبتنا العربية

ولقد لمعت عبقرية عبد القاهر الجرجانى المتوفى عام ٤٧١ هـ فى هذا العهد ، وكان مظهر هذه العبقرية اللماحة كتابان جليلان ألفهما قبل وفاته بقليل هما « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » اللذان يعدان حتى اليوم أصلا ضخما من أصول البيان وبحوث البلاغة والنقد والموازنة .

وبعد عبد القاهر انطفأ السراج ، وذبل العود ، وأصيبت الأذواق بالعمى والعجز ، كما أصيبت البلاغة بالتأخر والاضمحلال . . وبعد نحو قرن ونصف قرن ظهر فجأة السكاكى بعقليته المنطقية وذوقه الأعجمى ؛ فأحال البلاغة إلى جدل عقيم فى الألفاظ والأساليب ، وإلى قواعد جافة لا صلة لها بالذوق ولا بالحياة ؛ وكثر تلاميذ السكاكى ، وانتشر مذهبه فى البلاغة الذى يمثله القسم الثالث من كتابه « المفتاح » ، والذى عنى فيه مؤلفه بالقشور لا باللباب وبالتوافه لا بالحقائق ؛ ولا تزال دراستنا للبلاغة حتى اليوم قائمة على أصول مذهب السكاكى وتلاميذه وحده دون سواه .

— ٢ —

ولقد نهض جماعة من أدبائنا يدعون إلى التجديد فى البلاغة ، فمن قائل : إن الكتب القديمة يجب أن تحل محلها كتب أخرى مؤلفة على النهج الحديث ؛ ومن دعاة إلى تلقيح البلاغة العربية بأصول الدراسات البلاغية فى شتى اللغات الحديثة الأوربية ، ومن ناهجين مناهج الغرب فى بحث أسرار البلاغة وأصولها ، ومن منادين إلى مذاهب البلاغيين القدماء من أمثال عبد القاهر وقدامة وأبى هلال .

وهكذا تعددت الآراء ، وتخاصمت الأفكار ، فى التجديد فى البلاغة ، وبيان كيف يكون هذا التجديد ، على أن أذواق علمائنا المعاصرين وأدبائنا المشهورين لا تكاد تساعد على الوصول إلى هدف أو غاية ينشدها المشفقون على البلاغة العربية اليوم . . والذين يحاولون التجديد فيها يكتفون بنقل أفكار الغربيين دون فهم أو يقظة فكرية أو إلمام ما بتراثنا القديم الخالد فى البلاغة والبيان والنقد .

ومن أمتع صور البحث البلاغى والنقد البيانى هذه الصور الجميلة التى قرأناها فى مجلة الأزهر - عدد ربيع الأول ١٣٧٢ هـ - بعنوان « علوم البلاغة فى الميزان » ، والتى اتجه فيها الكاتب إلى إثارة الملكات ، وتنشيط الأفكار ، وتحريض الأذهان على النظر والبحث والنقد والاستنتاج والكشف ، وحفز إليهم للبحث والابتكار . . وهى محاولة مجدية قوية فى سبيل التجديد البلاغى المنشود . وأول ذلك الأسرار البلاغية الدقيقة للحذف

مكتبتنا العربية

ومحاولة الكشف عنها ، فلقد عرض عبد القاهر الجرجانى للحذف ومكانه من البلاغة دون أن يبين سبب هذا الحسن والإحسان ، وسر هذا الجمال البيانى الأخاذ .

وجاء السكاكى والخطيب وتلاميذهم فجعلوا الحذف فى موضعه كالذكر فى موضعه ؛ لكل مكانه من البلاغة ، ومنزلته من سحر البيان ؛ وأبوا أن يكون للحذف مزية على الذكر بل هما يحصلان البلاغة ويوجدانها ؛ ثم عللوا الحذف بعلل متكلفة لا صلة بينها وبين أحكام الذوق الأدبى السليم .

ويحاول الباحث أن يعلل سر جمال الحذف وبلاغته بأسباب نفسية وأمور بيانية ، منها الهجوم بالسامع على المطلوب دفعة ، والجدة التى نراها فى أسلوب الحذف ، ومنها أن المحذوف تدل عليه القرائن فإذا ذكر كان ثقيلا فى موضعه لأنه تعريف لما عرف وبيان لما بين ؛ فيربط بذلك بين البلاغة وأحكام الذوق وأسرار البيان وملكات النفس الإنسانية .

ومن البحوث التى أثارها الأستاذ ، أسلوب التجريد وتحليل ألوان جماله وسر هذا الجمال ، بعيداً عن تكلف القدماء البغيض وتأويلهم المصنوع .

وكذلك عرض لأسلوب : رأيت اليوم حاتما ولقيت مادرا وسمعت سحبان وما أشبه ذلك مما أوله البلاغيون فجعلوا حاتما هنا كأنه موضوع للجوار ، فانتزعوه من معناه وهو العلمية على الرجل المعروف من طيء ؛ وبهذا التأويل يكون حاتم متناولا للفرد المتعارف المعهود والفرد غير المتعارف وهو من يتصف بالجود ، فيصير استعماله فى غير المتعارف استعمالا فى غير ما وضع له فيكون عندهم استعارة .

وأستاذنا يبحث ذلك كله ويناقشه وينقده ، ويحاول الوصول إلى الصواب فى أمره ، حيث يرى أن المراد هنا تشبيه هذا الكريم بحاتم فى جوده ، فحاتم باق على معناه دون تغيير أو تبديل .

وهكذا نجد نهجا جميلا فى البحث والمناقشة ومحاولة الكشف عن أسرار البلاغة وأصولها ؛ وهو نهج طريف ما أجدر الأزهر أن يسير عليه فى الدراسة والبحث ، لتكون دراسة البلاغة فيه مجدية منتجة ، وليحاول أن يقف على قدميه أمام هؤلاء الذين يزرون بالبلاغة القديمة إزراء شديداً .

إن القديم ليس كله صوابا ، وليس كله خطأ ؛ بل فيه الصواب ، وفيه الخطأ ؛ وفيه سوى ذلك ألوان من القصور العلمى الذى يجب ملافاته ؛ فما أجدرنا فى الأزهر بتجديد البحث والدراسة فى أصول بلاغتنا ، وفى مذاهب البيان وأسراره .

محمد عبد المنعم خفاجى
المدرس فى كلية اللغة العربية

الفرض العلمي

— ٢ —

تكلمنا فى المقال السابق عن الفرض العلمى ، وسنفصل فيما يلى الكلام عن تحقيقه . ونستطيع أن نميز مرحلتين لهذا التحقيق ، هما مرحلة التحقيق النظرى ، ومرحلة التحقيق العملى .

١ — ويعد العلامة إرنست ماخ والعلامة لالاند من أوائل المهتمين بالتحقيق النظرى . وقد لاحظ ماخ أن كبار العلماء مثل جاليليو يباشرون تجريباً عقلياً سابقا ، ويأخذ هذا التجريب أحد اتجاهين ، فإما أن ينجح ويكفى العالم مؤونة التجريب العملى ، وإما أن يكون نجاحه جزئيا فيساعده على توجيه التجريب العملى .

وهناك ثلاثة مظاهر للتجريب النظرى ، أولاها : مظهر التغيير المتصل ، وهو تصور العالم للظروف والأحوال التى تحدث فيها ظاهرة معينة ، هذه الظاهرة تتغير تغيراً متصلا يوقفنا — عقليا — على كل الأحوال المختلفة لهذه الظاهرة أو لقانونها .

فإذا لاحظنا مثلا أن حجراً يسقط على الأرض على بعد معين ، وفرضنا أننا زدنا فى بعد هذا الحجر حتى أصبح على بعد القمر من الأرض وزدنا فى حجمه حتى أصبح فى حجم القمر . فإن هذا التصور يؤدى بنا مباشرة إلى تصور سقوط القمر نحو الأرض ، فإذا تصورنا بعد ذلك أن القمر ذاته يكبر تدريجيا حتى يصل إلى حجم الأرض ، فإنا سنلاحظ أولا أن كبره هذا لم يمنع من سقوطه ، ونستنتج ثانيا أن الأرض متجهة هى أيضا نحو القمر ، أى أن الجاذبية متبادلة ، وإذا استمر الذهن فى هذه الحركة العقلية بما فيها من تغييرات متصلة فى الظواهر ، فسيرى أن الأرض والقمر مكونتان من حجارة وأن مكوناتها فى جاذبية مستمرة متبادلة .

ويلاحظ — من ناحية أخرى — أنهما لا يختلفان جوهريا عن الأجسام الأخرى المكونة للنظام الفلكى العام ، وأن حركة كوكب معين لا تختلف كثيراً عن حركة مقذوف أيا كان ، وعجلة هذه الحركة متوقفة بطبيعتها على بعد الكواكب عن الشمس ، إذ هى ككل عجلة متوقفة على المسافة ، من كل ذلك نستنتج أن تغيرنا المتصل للظواهر وانتقالنا شيئاً فشيئاً بواسطة البرهان التمثيلى يوصلنا إلى قانون الجاذبية العام ، أى أن العقل — بواسطة تجريب عقلى سابق على التجارب العملية — يوسع حدود الفرض ، وإن لم يصل إلى تحقيقه تحقيقاً تاما .

مكتبتنا العربية

والمظهر الثانى ، هو التجريب العقلى بالخلف ؛ وقد رجع إليه جاليليو بصدد قانونه الخاص بسقوط الأجسام . فهو قد فكر قبل أن يصل إلى هذا القانون فى أنه لو كان صحيحاً أن الأجسام الأكثر ثقلا تسقط بسرعة أكبر من غيرها ، لاضطررنا إلى قبول النتيجة التالية : لنربط مثلا جسما ثقيلا بجسم خفيف ، فسنسلم بمقتضى الفرض السابق بأن الجسم المكون من الاثنين يسقط ببطء ، ما دام الجسم الثقيل قد يبطىء فى السقوط بسبب الخفيف . ولكننا نرى مباشرة أن قضيتنا الأخيرة متناقضة مع نفسها إذ أن الجسمين المكونين للجسم الساقط أثقل من الجسم الثقيل ذاته الذى يسقط بسرعة مفروض فيها أنها أكبر من سرعة الجسم الخفيف .

أما المظهر الثالث فهو مظهر الحذف التجريبي : فقد يمكن - بواسطة الفكر فقط - تخفيف أو إضعاف أو حذف عنصر أو عدة عناصر لها تأثير هام فى الظواهر التى ندرسها ، مع تصور أن العناصر والظروف الأخرى تعمل وحدها فى الظاهر ، والواقع أن التخفيف والحذف لبعض العناصر والظروف التى تحيط بالظاهرة لا يمكن تطبيقه عملياً ، فلو تصورنا مثلا أن احتكاك جسم متحرك على سطح أفقى يخف شيئاً فشيئاً حتى ينعدم . فسنصل من هذا التصور إلى أن نتمثل جسما متحركا بحركة منتظمة دون أية مقاومة خارجية ، والحقيقة أن هذه الحالة التى نتصورها لا تحصل تماما فى الواقع التجريبى ؛ ولكن هذا التصور ذاته هو الذى ساعد جاليليو على التحقق من قانون القصور الذاتى الذى يقول : « لا يمكن لجسم أن يغير شيئاً فى حالته ساكناً كان أم متحركا ما لم يقع تحت تأثير قوة جديدة » .

هذه هى مظاهر ثلاثة للتجريب النظرى ، يظهر فيها إمكان الاستغناء عن التجريب العملى ، ولكن هناك أحوالا أخرى لا تغنينا عن التجريب العملى بل تعد الطريق لهذا التجريب ، ولا يتسع المقام لذكر أمثلة عنها .

٢ — أما التحقيق العملى ، فله أيضاً طرائق ثلاث : أولاها ، الطريقة المباشرة ، وظاهر من اسمها أنها تفسر العلاقات العلية بين الظواهر المشاهدة أو التى تخضع للتجربه ، وتدخل قواعد (مِلْ) الخمسة ضمن هذه الطريقة :

وأول قاعدة من قواعد ملْ ، هى « قاعدة الاتفاق » ، وتتلخص فى أنه إذا كان هناك عامل مشترك بين حالتين أو أكثر لظاهرة معينة ، فإنه يعتبر بمثابة العلة أو المعلول لهذه الظاهرة ؛ فإذا مرض سكان قرية ما بمرض البلهارسيا مثلا ، وأراد الأطباء أن يعرفوا علة هذا المرض ، فعليهم أن يبحثوا كل الظواهر التى سبقت حدوثه ، كلبس نوع معين من الملابس

مكتبتنا العربية

مثلا أو أكل نوع معين من الطعام أو شرب ماء معين ، فإذا وجدوا أن المرضى لم يشتركوا إلا فى شرب نوع معين من الماء عرفوا بذلك علة المرض ، وهذا المثل يضرب للبحث عن العلة . ولا بأس من أن نذكر مثلا يضرب للكشف عن معلول فيما يأتى : إذا أرادت حكومة أن تلغى البغاء مثلا ، فعليها قبل أن تقدم على هذا العمل أن تفحص جميع اللواحق التى اتفق وقوعها فى جميع الحالات التى ألغى فيها البغاء فى بلاد أخرى : هل زادت منازل الدعارة السرية ؟ أم كثر الإقبال على الزواج ؟ فإذا تبين لها أن الإلغاء تلاه فى بلد ما ازدياد منازل الدعارة السرية ولكن صحبته مع ذلك كثرة الإقبال على الزواج ، وأنه فى بلد آخر تلاه قلة انتشار الأمراض السرية وصحبته أيضاً كثرة الإقبال على الزواج ، من ذلك تستطيع أن تستنبط النتيجة التى يؤدى إليها إلغاء البغاء وهى كثرة الإقبال على الزواج لأنه قد ازداد فى كل مرة . . . ويتضح مما ذكرنا من أمثلة أن أساس هذه القاعدة هو فى وجود الظاهرة والعامل المشترك الذى يسمى علة أو معلول تلك الظاهرة ، ولكن هذه القاعدة ليست عامة مطردة فى كل زمان ومكان ، ولا تعطينا صورة منطقية توصلنا إلى قانون حاسم ، فمن الصعب وجود ظواهر مختلفة تتفق فيما بينها فى صفة واحدة فقط تعد بمثابة العلاقة العلية بينها .

والقاعدة الثانية من قواعد مل ، هى « قاعدة الاختلاف » ، وهى عكس القاعدة الأولى فالحالتان هنا تشتركان فيما بينهما فى كل العوامل ما عدا عامل واحد يظهر فقط فى إحداها ولا يظهر فى الأخرى ويعد علة أو معلول الظاهرة التى لدينا .

أما القاعدة الثالثة فتجمع بين القاعدتين السابق ذكرهما ويتضح ذلك من اسمها وهو « المنهج المركب من الاتفاق والاختلاف » . وتتلخص فى أنه إذا وجد عامل مشترك بين حالتين ، وتخلف هذا العامل ذاته من حالتين أخريين ؛ فإن هذا العامل يعد علة أو معلول الظاهرة . فمثلا إذا تغيب طالب عن حضور درس معين ثم رسب فى الامتحان ، فقد يظن أن السبب فى رسوبه هو عدم حضوره هذا الدرس ، وإذا عرف أن كل من حضر هذا الدرس نجح فى الامتحان ازداد يقينه ، وإذا عرف أيضاً أن كل من لم يحضر هذا الدرس قد رسب ازداد يقينه أكثر ونسب رسوبه إلى عدم حضور الدرس . فإذا وقع المقدم يقع التالى والعكس صحيح .

أما القاعدة الرابعة فهى « قاعدة البواقى » وتتلخص فى أننا إذا حذفنا من ظاهرة الجزء الذى عرف عن طريق استقراءات سابقة أنه المعلول لمقدمات معينة فإن بقية هذه الظاهرة

مكتبتنا العربية

تكون معلولة لبقية المقدمات ، فإذا قذف مدفع طلقة إلى مسافة ألف متر ثم ركبت ماكينة أخرى فزاد بذلك بعد الطلقة مائة متر ، فعرف من ذلك أن الفرق بين قوتى الماكينتين هو علة المائة متر التى زادتها الطلقة .

أما القاعدة الخامسة والأخيرة فهى « قاعدة التغير النسبى » ، وفكرتها الرئيسية هى أنه بين أية ظاهرتين إحداهما علة والأخرى معلول تلازم ، بحيث أن أى تغير فى العلة يستلزم تغيراً موازياً له فى المعلول . فمثلا إذا لاحظنا أن جو حجرة الدراسة التى فتحت نوافذها بارد ، ثم لاحظنا أنه بعد قفل نافذة صار الجو دافئاً قليلا ، وبعد قفل نافذة أخرى ازداد الجو دفئاً ، وهكذا أمكننا أن نستنبط أن النوافذ المفتوحة هى علة ازدياد البرودة . وهذه القاعدة - كما يتضح من المثال - عبارة عن قانون الاستنباط الذى بمقتضاه نحكم بأن حادثة معينة علة فى وقوع أخرى لأنهما متلازمتان فى التغير .

هذه بالإجمال قواعد العلامة مِلْ فى تحقيق الفروض ، وهى لا تكفى فى إثبات وتحقيق جميع الفروض ، فهى تقوم على وجود علاقة علية بين الظواهر التى نشاهدها أو تجرى عليها التجارب ، أما إذا جهلنا العلة الواقعة بين الظواهر التى لدينا فإنها لا تستطيع أن تحقق لنا الفرض ، وبذلك يتحتم الالتجاء إلى : -

الطريقة الثانية من طرق التحقيق العملى ، وهى الطريقة غير المباشرة ، وهذه تفترض وجود علاقة علية بين حالتين أو جملة حالات ، وبناء على هذا الفرض تستنتج النتائج ، فإن قابلت حقائق صحيحة أيقنا بصحة الفرض وإلا فلنلجأ إلى فرض آخر .

أما الطريقة الثالثة فهى عبارة عن شكلين عامين يذكرهما العلامة لالاند ، وأولهما ، الطريقة السلبية أو منهج الحذف ؛ وتتلخص فى أنه إذا بقى لدى العالم عدد معين من الفروض بعد فقد سابق ، فليكوّن منها قائمة ، ثم يقوم بحذف الفروض التى تناقض التجارب التى يقوم بها للتحقيق . فلا يقبل فرض يعارض القول بأن الضوء ينتشر بسرعة أكبر من سرعة الصوت فى الانتشار . وثانيهما الطريقة الإيجابية وهى تثبت صحة الفرض بنجاحه فى أحوال مختلفة كل الاختلاف ومتباعدة كل البعد كميا وكيفياً عن الأحوال التى وجهتنا نحو الفرض ، أى أن العالم الذى يريد تحقيق فرض معين يطبقه عملياً فى أحوال مختلفة كل الاختلاف عن الحالة التى بدأ بها العالم الذى فكر فى الفرض ، ويجمع نتائج هذه التطبيقات وبقائها بالفرض الذى لديه ليرى مبلغ اتفاقها أو مبلغ اختلافها ، وبعبارة أخرى يرى مدى اتفاق العمليات الرياضية المجردة مع تجارب المعمل .

سعيد زايد

مكتبتنا العربية

العلم وعلاقته بالدين

لا يوجد بحث من البحوث التى تشغل بال الاجتماع وتحتل عقول المصلحين أكثر أهمية ، ولا أدخل فى باب الحداثة ، ولا أشد تعقداً ، ولا أعظم - بالتالى - فوزا بالصدارة من بحث العلاقة بين العلم والدين . ومأتى ذلك هو أن العلم - منذ أن فاز بحريته فى فجر النهضة الحديثة - قد أصبح يزعم لنفسه المقدرة على فرض سلطانه المطلق على العقول والأجسام ، بينما يهدف الدين - منذ أول عهده بالبشرية - إلى سيادة سلطته الروحية وإلى قيادة الحياة العملية فى الأمم وإرشادها إلى سبل الهدى والسعادة . ولا جرم أن هوة الخلاف بين المعسكرين قد اتسعت أرجاؤها إلى حد أن عدداً كبيراً من العلماء العصريين قد وضعوا نصب أعينهم تجاهل كل التعاليم الدينية التى تبتعد عن التجارب العملية ولا تسترشد بهدى الأقيسة الموضوعية الخاضعة للمناهج العلمية الحديثة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ولما لم تؤد هذه الخطة التى سلكها العلماء المحدثون إلى إسعاد الإنسانية ، بل بالعكس قد انتهت بها إلى فقدان التوازن الروحانى من جهة ، ولما كان باب النقاش فى هذه النظرية لا يزال مفتوحا على مصراعيه من جهة ثانية ، وكانت العقول المثقفة المتزنة لا تزال تنتظر لها حلا مقنعا يحقق السعادة الإنسانية من جهة ثالثة ، فقد حاولنا منذ أعوام أن نعالج موضوع الصلة بين الدين والعلم على صفحات هذه المجلة موجزين آراء علية المفكرين الذين عنوا بدراسة هذه المشكلة ومجهوداتهم التى بذلوها للتوفيق بين العلم والدين ، أو لتضييق هوة الخلاف بينهما ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، لكى تكون دراستنا علمية مؤسسة على دعائم التطور التاريخى المألوف .

وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتقدم إلى قرائنا الأعزاء الذين رافقناهم على صفحات هذه المجلة زهاء ثلاثة عشر عاما ، ثم احتجبنا عنهم بغتة معتذرين إليهم بأن ظروفا ملتوية تختلف مع طبيعتنا قد أحاطت بالمجلة فجعلتنا نقطع صلتنا بها راضين عن أنفسنا مطمئنين

مكتبتنا العربية

إلى مبادئنا . والآن نعود إلى وصل ما انقطع محاولين الإحاطة بهذه المشكلة من جميع جوانبها بقدر الإمكان . وإليك البيان :

ألمعنا فى الفصول السالفة من هذا البحث بآراء « ديكارت » ممثلة للقرن السابع عشر ثم بآراء « جون لوك » و « جان جاك رسو » معبرة عن أكبر تفكير القرن الثامن عشر . واليوم نستأنف الحديث عن ناحية أخرى من ذلك العصر المذكور وهى آراء « كانت » Kant التى يعثر عليها الباحث فيما يسميه مؤرخو الحركة العقلية : « ثورة كانت الفلسفية » .

ومجمل هذه الآراء أن « كانت » يزعم أنه عندما نظر فى فلسفة القرن السابع عشر هاله ما هوى فيه العقل البشرى من تناقض واضطراب حينما جعل يحاول حل معضلتى وجود الإله وكنه النفس البشرية . ومن دلائل ذلك عنـــده تناقض بعض الفلاسفة العقليين مع البعض الآخر ، بل تناقضهم مع أنفسهم ، وهو ينتهى فى آخر هذه الدعوى إلى تقرير أنه ينبذ ذلك المبدأ الشهير الذى ساد القرن السابع عشر كله ، وهو القول بأن فى مكنة العقل أن يدرك الموجود فى ذاته ، وبالتالى هو يستطيع ـ فى غير تجربة عملية ـ أن يصل إلى المعرفة المطلقة ، وأنه يستطيع فى سهولة أن يتحدث بيقين عن الموجود اللامحسس ، وأن يقيم الدليل القاطع على وجوده عن غير طريق الواقع المشاهد ، وأنه لابد من وجود نوعين من العلم يسيران متوازيين جنباً إلى جنب ، أحدهما العلم الطبيعى الذى يشتغل بالظواهر المادية ، والآخر العلم الأعلى الذى موضوعه ما فوق المحس أو ما بعد الطبيعة ، ومعنى هذا أن غايتى العلمين مختلفتان ، وليستا متعارضتين . وذلك كله باطل من أساسه .

حقا إن النظرة العاجلة فى النقد الذى وجهه « كانت » إلى تراث ما بعد الطبيعة أو إلى ما يسميه هو بالميتافيزيكا التقليدية ولا سيما منهـا براهين وجود الإله والحياة الأخرى من شأنها أن تلقى فى روع الباحث الحكم على العقل بالعجز والقصور البالغين ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذ أنه لم يحتقر العقل إلى هذا الحد ، وإنمـا أراد ـ فيما يزعم ـ أن يعيد إليه سلطانه الحقيق على صورة جديدة يمكن أن نجملها فيما يلى :

يؤمن كانت بوجود العالم الخارجى حق الإيمان ، وهو فى الوقت عينه يقرر أن هناك موجودات فى ذاتها ، ولكنها غير قابلة للمعرفة بالنسبة لنـا ، ويمكن أن يطلق عليها اسم « نومينون Noumènon » ، وهى نفس الكلمة الإغريقية « نومينا Nooumèna » ، التى كان أفلاطون يطلقها على « المثل » .

مكتبتنا العربية

على أنه لكى تتحقق معرفتنا بالعالم الخارجى يجب أن يخضع العقل البشرى ذلك العالم لقوانينه الخاصة حتى يبدو لنا فى صور ظواهر وأحداث : « فينومين Phanomen » ، وحينئذ يصير العقل سلطة تشريعية يذعن لقوانينها كل ما من شأنه أن يكون موضوعا للمعرفة . وعلى هذا النحو هو يعترف للعلم باليقين ما دام أن المعلوم لا يخرج عن نطاق التجربة .

بيد أن العقل الإنسانى بفطرته طموح يتطلع إلى ما هو أسمى من ذلك فيرنو - فى شغف مشروع - إلى ما وراء استقرار قوانين الطبيعة وما فوق معرفة الظواهر الحسية فيدرك فكراً من عالم الموجود فى ذاته كفكرة النفس وفكرة الكون وفكرة الإله التى هى مانحة الحقائق أقصى آواج المعقولية .

على أنه إذا كان فى مقدور أدوات التعقل البشرى شرح الظواهر المادية وتعليلها ، فإن الذى لا ريب فيه أن الشأن ليس كذلك عند ما يتعلق الأمر بالنظر فى « الموجود فى ذاته » أى الموجود الذى لا يخضع للتجربة كجوهرية النفس وبساطتها ، أو كمنشأ الكون ، أو كالاستدلال على وجود الإله ، إذ أن جميع المحاولات التى عالجت أمثال هذه الجوانب عن طريق العقل عندما ينعم المرء فيها نظره فى شىء من الدقة يلفى أنها مشتملة على متناقضات لا يمكن قبولها ، أو متعارضات بدون حلول أو ضعف فى الأسانيد المؤيدة على أقل تقدير .

من هذا كله يتبين إجمالا أن العقل يستطيع أن يصل إلى العلم اليقينى فى كل ما ينحصر فى منطقة التجربة وأنه منعطف بطبعه إلى إدراك وجود حقائق أخرى أسمى من عالم الحس، وهى غير قابلة لموضوعية العلم ، بل هى قابلة لموضوعية الإيمان المشروع الذى يهدف إلى غاية أخرى مغايرة لغاية المعرفة النظرية التى لا تلحق إلا موضوع العلم فى نظر « كانت » ، وإذن فيجب على الميتافيزيكية أن تقنع بدورها الحقيقى وأن تتواضع فتدرك منزلتها الصحيحة وأن تقدر مهمتها الطبيعية حق قدرها ، فبدلا من أن تتعقب غاية مستحيلة بالنسبة لها ، وهى محاولة مدّ سلطان العلم إلى ما وراء التجربة الحسية ، يكون حسبها أن تقف به عند حدود المجربات التى هى حدود المقدرة البشرية ؛ وبهذا الاتجاه تصبح الميتافيزيكية عملية منتجة لا نظرية مجردة . وعلى هذا النحو لا يفوتها شىء مما هو ضرورى للمعرفة أو للحياة ، لأن من الخطل أن نتعلق بما يتجاوز حدود معرفتنا طمعاً فى أن ينظم هذا المجهول - المستعصى

مكتبتنا العربية

علينا فهمه — سلوكنا . ولهذا كان من العبث أن نجعل يقيننا بالحياة الأخرى هو الحامل لنا على التمسك بالفضيلة ، أو أن نتخذ عدم قابلية النفس للفناء حافزاً لنا على العمل أملا فى جزاء الخير ، لأن ما لا يدخل فى نطاق التجربة لا يصلح لأن يدفع إلى تنظيم سلوك الحياة الواقعية مستنداً إلى تعليل نظرى .

والحق بإزاء هذه المعضلة أن القلب هو الذى يقود العقل فيها فيفرض عليه بديا أن أداة المعرفة هنا عابثة معدومة الفائدة لقصورها ، بل لعجزها ، وأن أوامر القانون الخلقى التى تنظم الحياة وتقوم السلوك وتدفع إلى الفضائل هى مستقرة فى أعماق النفس الإنسانية ، وأنها ، تنبثق منها عند الحاجة ، أى قبل الحكم على أى عمل بله الشروع فيه ، وأنها — فيما يبدو — هى التى تحدد منزلة كل فرد فى الحياة الأخرى .

على هذا النحو كان « كانت » يعتقد أنه من الممكن التخلى عن الميتافيزيكية التقليدية دون أدنى عدوان على الفضيلة الخلقية والدينية التى كان يضعها فوق كل اعتبار . ولا جرم أن أبرز نواحى مذهب « كانت » فى هذه المشكلة هى إعتماده على الفرق الواضح الذى يلح عليه بين العلم التجريبى والعقيدة التسليمية ، فهو يصرح بأن الأول يبحث عن معارف حقيقية مؤسسة على أدلة يقينية غير قابلة للاعتراض ، بينما أن الثانية تعتمد على إيمان بسيط وتسليم أبسط ، وأن ظلمة المشكلات وتعقدها والضرورة الملحة على وجوب الاختيار السريع والتصميم الحاسم ، كل هذه العوامل تخلق من الإيمان التسليمى البسيط شيئاً لا نلبث أن نتخذه مبدأ لأحكامنا ثم لسلوكنا . على أن هذا المبدأ ليس تافهاً أو خفيف الوزن ، وإنما هو مؤسس على الرجحان ، أوله ما يبرره من شهادة شخصية جديرة بالتصديق . وإذن فلا يمكن استبعاد العقائد الدينية بحجة أنها مؤسسة على إيمان تسليمى إذ أن تلك العقائد لها ما يبررها من اليقين بأحقية الإله نفسه .

وإذن فلو أن المرء دقق النظر فى معتقداته وعنى بفحصها عناية فائقة فلم يحتفظ منها إلا بما هو من الوحى الإلهى حقاً ، وبذل جهده فى اقتناص المعانى الحقيقية لهذه الموحيات لصارت العقيدة الدينية مبدأ من مبادئ اليقين الذى لا يقل عن العلم بأكمل ما فى هذه الكلمة من معان .

مكتبتنا العربية

وعلى هذا الأساس استطاع « كانت » أن يجد فى اختصاصات العقل جميع الشرائط الأساسية للعلم والدين . فأما العلم فمبادئه مستقرة فى العقل حينما يكون نظريا ، إذ هو فى هذه الحالة يؤلف دعائم العلم مطبقاً على العالم الحسى التجريبى قوانينه التى تصيّر ذلك العالم قابلا للمعرفة ، وهى معانى الزمان والمكان والعلية .

بيد أن هذا العقل لا يستمر دائماً نظريا ، وإنما يكون أحيانا عمليا إنشائياً فلا يكتفى بشرح العالم الخارجى وتعليل ظواهره وأحداثه ، وإنما هو يود أن يعمل عملا منتجاً ، وهذا العمل محتاج إلى قواعد تنظمه وتنسقه ، وفى هذه الحالة الأخيرة يبرز العقل أقصى ما يشتمل عليه من عناصر . وإذ ذاك يجب أن نعينه على امتداد سلطانه حتى يلحق بالغاية الأخرى المؤسسة على الإيمان والتى باجتماعها مع العلم تحقق أسمى وظائف العقل .

وإذا كانت طبيعة تكويننا تقضى علينا بضرورة وجود بعض المبادئ لإمكان تنظيم سلوكنا ، فإنه يجب علينا أن نقبل هذه المبادئ الإلهية المنظمة كحقائق حتمية ، وتلك هى المبادئ الميتافيزيكية كالألوهية وحرية الاختيار وخلود النفس وما شاكل ذلك . ولكن قبولنا هذه المبادئ هو على معنى أنها عملية خلقية لا علمية ولا نظرية . وإذن فالعقيدة على هذا الاتجاه « الكنتى » شىء لابد منه لتحقيق المبادئ الخلقية التى لا نستطيع التدليل على صحتها علميا ، لشذوذها عن قواعد التجارب الحسية كما أسلفنا .

وأخيراً نستطيع أن نجمل مذهب « كانت » فى : أن العقل يكون نظريا وعملياً حسب اختصاص اتجاهه . فإذا كان هدفه التعقل والفهم كان نظريا ، وإذا كانت غايته التنظيم الخلقى كان عمليا ؛ وثمرة الحالة الأولى العلم ، وثمرة الثانية الأخلاق . ومن هذه الحالة الأخيرة تنبثق العقيدة ، وكل من هذين الاتجاهين مستقل عن الآخر تمام الاستقلال ولكنهما متصلان فيما بينهما عن طريق ذلك الرابط العام المشترك وهو العقل .

الدكتور محمد غلاب

تصحيح

وقع فى الجزء الماضى خطأ فى ترتيب صفحتين من المجلة . فالصفحة التى رقمها ٨٧٩ وأولها « رسولا منهم » كان ينبغى أن يكون رقمها ٨٧٨ بدلا من الصفحة التى قبلها وصواب ترقيمها ٨٧٩

مكتبتنا العربية

الكتب

التفسير الواضح — للأستاذ محمد محمود حجازى

إن الجمهور المثقف من المسلمين يحتاج فى كل عصر إلى تفسير لكتاب الله يقتصر فيه على ما ييسر للمسلم فهم آياته للاهتداء بها فيما نزلت له . وفى مختلف عصور الإسلام كان العلماء يقومون بهذه المهمة ، كما فعل الجلال المحلى ثم الجلال السيوطى فى إخراج تفسيرهما اللطيف المنسوب إليهما . وقد تصدى لأداء مثل هذه المهمة الإسلامية لشبابنا الآن فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود حجازى ، فأخذ يصدر (التفسير الواضح) فى أجزاء متتابعة كتب الله لها القبول عند من ألف هذا التفسير لهم ، حتى إن بعض أجزائه أعيد طبعها والكتاب لا يزال فى إبان تأليفه ونشره . وطريقة المؤلف فيه أن يأتى ببضع آيات متناسقة يتم بها المعنى ، فيتخير لمعناها عنواناً ، ويجعل الآيات بحروف جلية وبالشكل الكامل ، ثم يتبعها بتفسير مفرداتها تفسيراً لغويا مشفوعا بالمراد بها فى الآية ، ويعقبه بإيراد المعنى الإجمالى للآيات بعبارة وجيزة واضحة . وقد يتخلل ذلك ذكر المناسبة وسبب النزول ، وأحيانا يتعرض لمواضع العظة من قصص القرآن وأمثاله .

وأجزاء التفسير يقع الواحد منها بين ٨٠ صفحة و ١٠٠ ، وذلك مما يسهل على الشبان قراءة الجزء والإفادة منه إلى أن يصدر الجزء الذى يليه .

وقد صدر إلى الآن أحد عشر جزءاً من التفسير الواضح بلغ بها المؤلف إلى آخر سورة يونس . فنرجو له من الله دوام التوفيق فى هذا وغيره من الأعمال العلمية الإسلامية .

الرسالة المحمدية — لعلامة الهند السيد سليمان الندوى

نشرها المركز العام للإخوان المسلمين — ١٨٤ ص — بالمطبعة السلفية

كانت جامعة مدراس الهندوكية فى الهند قد أباحت منبرها لبعض كبار علماء الديانة المسيحية ليحاضروا الطلبة من كل المذاهب والأديان فى بيان الأسس التى تقوم عليها رسالتهم

مكتبتنا العربية

الدينية . ولما انتهوا من ذلك اقترح الطلبة المسلمون فى تلك الجامعة على رؤسائهم أن يأذنوا لهم بدعوة أحد علماء المسلمين ليحاضر الطلبة بمثل ذلك عن رسالة الإسلام .

وبالفعل دعوا لذلك علامة مسلمى الهند السيد سليمان الندوى أمتع الله الإنسانية بفضله وسعة معارفه ، فألقى من منبر تلك الجامعة الشهيرة ثمانى محاضرات عن الرسالة المحمدية أدارها على معانى قلما وفاها حقها غيره من ألوف المصنفين فى السيرة المحمدية بمختلف اللغات . ومن ذلك إعلانه امتياز هذه السيرة بأنها هى السيرة الوحيدة التى يجوز وصفها بأنها « تاريخية » ليصح الاقتداء بها واتخاذها أسوة فى الحياة ، بينما سير مؤسسى الديانات الأخرى لا يكاد يعرف عنها التاريخ إلا النزر القليل مما لا يتم به التأسى والاقتداء .

ومنها أن الرسالة المحمدية هى العامة الخالدة ، ولذلك جاءت بشرائع ثابتة للإنسانية كلها فى كل زمان ومكان ، بينما الرسالات الإلهية الأخرى جاءت مختصة بعصر واحد من العصور ، أو بعنصر واحد من عناصر الناس ، فانتهت مهمتها بانقضاء زمانها ، أو انحصرت بالعنصر الذى اختصت به .

ومنها أن السيرة المحمدية : هى المعلومة للناس بكاملها وتمامها وشمولها من ميلاد صاحبها إلى أن اختاره الله اليه ، فلم يخف شىء من دخائلها عن أعداء صاحب هذه الدعوة ولا عن أوليائه .

ومنها أن حياة محمد ﷺ جمعت كل ما تفرق فى الأنبياء مما امتازوا به ، لأن ما أعطاه الله لرسله جميعا متفرقين ، قد أوتيه محمد صلى الله عليه وسلم وحده . وقد أورد السيد سليمان الندوى الشواهد والمقارنات التاريخية فى هذا الباب ، واستعرض مدرسة محمد ﷺ وبين كيف كانت جامعة للطوائف والطبقات وأجناس الأمم ، وبرهن على أن محمد صلى الله عليه وسلم هو المصلح الأخير للإنسانية ، وأن العالم لا تتم هدايته إلا بهذا المصلح الأخير .

ثم تكلم على الناحية العملية فى السيرة المحمدية ، فبين أن الأنبياء والمصلحين من الساميين أو من أهل المشرق البعيد كانوا يبينون رسالاتهم لأممهم بلسانهم ، فأدوا عن الله رسالاته . غير أنهم لم تتح لهم فرصة التعبير عن رسالات الله بالعمل والتطبيق كما أتيحت لمحمد ﷺ . وقدم المحاضر براهين ذلك من تاريخ الأنبياء ، ومؤسسى الديانات ، بأمثلة لا تقبل المراء أو الجدل .

مكتبتنا العربية

وكانت خاتمة محاضراته تبياناً لأسباب فساد الديانات القديمة وكيف تطرق إليها الباطل من ناحية تشبيه الله بالبشر وتأليه البشر بسبب ذلك ، أو من ناحية تجسيم الصفات الإلهية والرمز لكل صفة بوثن من الأوثان ، فنشأت عن هذين الأمرين عبادة البشر وعبادة الأوثان . وكيف أن الإسلام وحده هو الذى جاء بتوحيد الله فى أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه ليس كمثله شيء ، فلم يعرف التاريخ الإنسانى دعوة قضت على عبادة البشر وعلى عبادة المخلوقات - بحجة أنها رموز للإله - كما قضت على ذلك رسالة الإسلام بأصرح بيان وأقوى حجة .

إن لغات البشر كلها حافلة بألوف الكتب فى السيرة المحمدية ، ولكن محاضرات السيد سليمان الندوى هذه عنيت بهذه النواحى بأكثر مما نجده فى أى كتاب آخر . وكان قد ألقاها باللغة الأوردية ونشرت بها كما نشرت ترجمتها الإنجليزية . فلما وفد على كراتشى فى العام الماضى وفد من الإخوان المسلمين فى القاهرة للاشتراك فى المؤتمر الإسلامى حظى أعضاؤه بزيارة هذا الإمام العلامة الكبير وطلبوا منه هدية إلى شباب المسلمين فى مصر والوطن العربى ، فأهدى إليهم هذه المحاضرات النفيسة مترجمة بالعربية ليقوم المركز العام للإخوان المسلمين بنشرها فى مصر وجميع أقطار العروبة .

وقد ناط المركز العام للإخوان المسلمين برئيس تحرير هذه المجلة كتابة مقدمة لهذا الكتاب والتعريف به وبمصنفه العلامة الكبير ، والإشراف على طبعه ، فتم طبعه فى هذه الأيام بلغة عربية فصحى زادت فى محاسن الكتاب . فنحث قراء العربية جميعاً على تدبر ما جاء فيه من الحقائق الناصعة وإطالة النظر فيها ، فإنها جديرة منهم بذلك .

الأموال ونظرية العقد فى الفقه الاسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى — ٥٢٤ ص قالبين — نشرته دار الكتب الحديثة

يقول الدكتور المؤلف فى مقدمة كتابه هذا : إذا كان لكل قانون ، سماوى أو وضعى ، طبيعته وسماته وخصائصه التى يتميز بها عن غيره من القوانين ، فان للفقه الإسلامى من هذا كله ما يجعله بحق ضرباً فريداً من التشريعات والقوانين التى عرفها العالم حتى الآن ، سواء من ناحية الأسس التى قام عليها ، والمقاصد والغايات التى استهدفها ، والأحكام والحلول التى جاء بها على مر العصور .

مكتبتنا العربية

وموضوع « الأموال ونظرية العقد » هو الذى يعرف فى كتب الفقه بالمعاملات ، وقد ألف المؤلف كتابه هذا لطلبة كلية الحقوق بالجامعة ، وسيستفيد من ذلك بالعرض جميع الذين يعنيهم دراسة الفقه الإسلامى من مراجعه الأصيلة ، وقد امتاز الكتاب بصفة خاصة بالمقارنة بين آراء الفقهاء المسلمين من مختلف المذاهب ، ثم بالمقارنة بين هذه الآراء والمذاهب وما جاء فى القانون المصرى الحديث ، عند ما يتطلب الأمر وموضوع البحث هذه المقارنة .

والفقه الإسلامى هو فقه السواد الأعظم من الأمة المصرية ، وإن ٩٢ فى المائة من هذه الأمة يؤمنون بأن هذا الفقه هو تشريعهم الأصيل ، وكل ما عداه أجنبى عنهم ، وكما يرون أنه فقههم الذى اطمأنوا إليه وتعاملوا به مدة ثلاثة عشر قرنا وأكثر ، يرون كذلك أنه هو الأليق بهم والأنفع لهم واللائق بمجتمعهم ، وزيادة على ذلك فإن إحياءه والتعامل به يعدونه دينا ، ويعتقدون أنهم يثابون عليه كما يثابون على العبادة ، وبعكس ذلك يعتبرون إهماله وتضييعه والتنكر له جريمة يعاقبهم الله عليها . لذلك كان مما يسرّ له المصريون عناية علمائنا بالفقه الإسلامى تدريساً وتأليفاً وبحثاً ، وحسن عرضه فى مؤلفات تقطع الحجة على كل من يساهم فى تعطيله وإحلال الفقه الأجنبى فى محله من المجتمع المصرى .

ويقول الدكتور المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب : « وفى الفقه الإسلامى ثروة ضخمة من التشريعات العديدة التى تتناول الفرد ، والمجتمع ، والدولة - من النواحى المختلفة - بل تتناول أيضاً العلاقات الدولية بين الأمم جميعاً . ولن يستطيع أن يقف على مبلغ هذه الثروة من قصر نفسه على مذهب واحد من مذاهب الفقه لا يعدوه إلى غيره ، بل يجد تجاوزه غير جائز له ما دام قد التزمه مذهباً له » .

والكتاب فى ثلاثة أقسام : أولها المدخل لدراسة الفقه وفلسفته ، ذكر فيها نشأته وتدرجه وأدواره والمذاهب الفقهية المهمة ، وأصول الفقه ومصادره ، وطبيعة الفقه الإسلامى وخصائصه . والقسم الثانى فى الأموال ، وفيه تعريف المال والملك وتقسيمهما وحقوق المنفعة والارتفاق ، والأسباب الناقلة للملكية . والقسم الثالث فى نظرية العقد وتكوينه وشروطه وأقسامه وانتهائه .

وكان المؤلف على نية الكتابة بإيجاز على العقود عقداً عقداً ، كالبيع والإجارة والرهن والعارية وغيرها ، لكنه عدل عن ذلك اكتفاء بما كتبه عنها فى أثناء بحث نظرية العقد وقد جاء كتابه فى ٥٢٤ صفحة مستوفياً لما أراده منه ، وسيفيد منه طلبة كليات الحقوق ومن فى درجتهم من المثقفين فائدة تخطو بهم خطوات للاستقلال فى البحث والاستئناس باتجاهات الفقه الإسلامى .

مكتبتنا العربية

خلاصة تاريخ تونس

نشرته دار الكتب الشرقية بتونس — ٢٠٠ صفحة

هو مختصر مدرسي للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب يشمل حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر . وكان قد طبع قبل الآن مرتين فأعيد الآن طبعه للمرة الثالثة بعد أن أصلح فيه المؤلف ما تعين إصلاحه ، وحور البعض ، وأضاف إليه فقرات وفصولا وخرائط جغرافية رجاء أن يزداد الكتاب بذلك شرحاً وإيضاحاً .

ومثل هذه الكتب فى التعريف بالأقطار الإسلامية وأجزاء الوطن العربى مما يعين على تعارف المسلمين والإلمام بأحوال أوطانهم ليتم بذلك شعورهم جميعاً بأنهم أمة واحدة . وللمؤلف تاريخ آخر لتونس مبسوط يعنى بجمعه وتأليفه منذ أحقاب ، فعساه يبادر إلى نشره ليعم النفع به .

ديوان ابن خيوس

نشره المجمع العلمى العربى - بتحقيق خليل مردم بك - فى مجلدين ٧٥٠ صفحة قالبين

الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن خيوس الغنوى الدمشقى (٣٩٤ - ٤٧٣) من أعلام الشعر العربى ، وكان شاعر الشام فى عهد الدولة الفاطمية فى القرن الخامس ، عاصر أبا العلاء المعرى ، وكان جده الهيثم بن عثمان الغنوى من قواد المعتصم ومن الرؤساء الذين مدحهم البحترى . ونشأ ابن خيوس من أول شبابه جامعاً إلى وجاهته وثرائه واتصاله بالولاة والحكام ، الميل إلى الفصاحة والجزالة والارتياح إلى نظم الشعر ، فنحا منحى أبى تمام فى الصنعة اللفظية والغوص على المعانى ، كما ذهب مذهب البحترى فى استواء الشعر وعدم التفاوت وطول النفس . ويعاب عليه انزلاقه فى مناصرة ولاة الفاطميين والتحامل على خصومهم ، فاضطر على سنيته - إلى مجاملة الباطنيين وأئمتهم بما لا يجوز صدوره عن مسلم ، ولا يليق إلا بمثل ابن هانىء . وقد عاقبه الله على ذلك ، وعلى تهوينه من شأن قومه العرب إرضاء لمثل انوشتكين الدزبرى ، بأن دالت دولة هؤلاء وهؤلاء فافتقد ما كانت تملك يداه ، وأراد أن يذهب إلى بغداد فتذكر أنه قد أغضب بنى العباس ونال منهم تقرباً إلى بنى عبيد وولاتهم . وأراد أن يذهب إلى حلب فصده عن ذلك أنه ملأ الدنيا بشعره فى ذم الامير

مكتبتنا العربية

صالح بن مرداس وابنه نصر بن صالح لما كان يمدح أنوشتكين العدو الألد لآل مرداس . إلا أن الله أنقذ شيخوخة هذا السرى الشاعر على يد الأمير على بن منقذ فتوسط له عند الأمراء آل مرداس وأمر ابنه نصر بن على بن منقذ بأن يصحبه ويقدمه إلى أمير حلب محمود ابن نصر المرداسى فكان وسيلة التجمل والصفاء بعد الجفاء . وأنشد بين يديه قوله فى مدحه :

قفوا فى القلى حيث انتهيتم تذمما ... ولا تقتفوا من جار لما تحكما
أرى كل معوج المودة يُصطفى ... لديكم ، ويلقى حتفه من تقوما
حنى الناس من قبل القسىّ لتقتنى ... وتُقف منآد القنا ليحطما
وما ظلم الشيب الملم بلمتى ... وإن بزّنى حظى من الظلم واللما
إلام أمنى النفس ما لا تناله ... وأذكر عيشاً لم يعد مذ تصرما
وقد قالت السبعون للهو والهوى ... دعانى أسرى واذهبا حيث شئتما

فأحسن الأمير محمود بن نصر المرداسى وفادة ابن حيوس واحتفى به ووهب له ألف دينار ذهباً فى صينية فضة وجعلها له رسماً عليه فى كل سنة ، وأنساه بنى عبيد ووزراءهم وأمراءهم . فقال يخاطب ابن منقذ ويذكر الأمير ابن مرداس :

يا ابن المقلد قد قلدتنى منناً ... ما قارب الحمد أدناها ولا كربا
فيمنُ جدك أفضى بى إلى ملك ... ما ابتزه الشعر إلا هزه طربا
أغنى وأقنى وأدنى ثم أغرب فى ... إنعامه فأفاد العقل والأدبا
فكل نوء بمصر جادنى زمنا ... فداء نوء سقانى الرى فى حلبا

ويقول محقق هذا الديوان العالم الأديب الشاعر المحقق السيد خليل مردم : « دخل ابن حيوس حلب فى شوال سنة ٤٦٤ وهو ابن سبعين سنة ، وبقى فى كنف آل مرداس حتى انقرضت دولتهم سنة ٤٧٣ ، وفى الديوان من شعره فيهم ثلاثون قصيدة من أجزل شعره وأحسنه ، يعجب الإنسان كيف استجابت له وهو فى عشر الثمانين من عمره » .

وفى ذلك يقول :

وما أضعفت عشر الثمانين منتى ... كما تضعف الضرغام وهو غضنفر

ومما ذكره محقق الديوان من أخلاق ابن حيوس أنه كان يغلب عليه الجد والتعاون ،

مكتبتنا العربية

وأنه ليس فى سيرته أو شعره لهو أو عبث أو مجون ، ولم يكن محتالا خموراً ، ولا سبابا طعانا ، ويكاد ديوانه يخلو من الغزل ووصف الخمر والفخر والهجاء ، ولعل غلبة الجد عليه جعلته خشنا فى بعض أحاديثه كالذى رواه الحافظ ابن عساكر (١ : ٤١٠) فى ترجمة الشريف أحمد بن على النصيبى قاضى دمشق للمستنصر العبيدى ، فقد قال القاضى لابن حيوس يوماً : وددت لو أنى كنت فى الشجاعة مثل على وفى السخاء مثل حاتم . فقال له ابن حيوس : وفى الصدق مثل أبى ذر . يعرض له بأنه كذاب لأن القاضى كان يرمى بالكذب . وكان ابن حيوس معجباً بشعر معاصره عبد المحسن الصورى ، حتى لقد روى عنه ابن عساكر (ج ١٠ ورقة ٢٢٥ مخطوط) أنه كان يقول : إنى ليعرض لى الشىء من شعر أبى تمام والبحترى وغيرهما من المتقدمين فأعمل فى معناه فأبلغ مرادى منه ، ولا أقدر على أن أبلغ من موازنة شعر عبد المحسن الصورى ما أريد لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه وقصر أبياته . وكان يعترض على من يقول إن جريراً أغزل الشعراء ويقول : أغزل منه عبد المحسن الصورى فى قوله :

بالذى ألم تعذيبى ثنا ياك العذابا
ما الذى قالته عينا ك لقلبى فأجابا

وكان أبو العلاء المعرى يعيب عبد المحسن الصورى بقصر النفس ، فلما حضر ابن حيوس عند أبى العلاء أنشده أبو العلاء أبياتا لعبد المحسن وقال : « هذه لقصيرك » فقال له ابن حيوس : « هو أشعر من طويلك » يعنى المتنبى . فمد أبو العلاء يده إليه وقبض على ثوبه وقال : « الأمراء لا يناظرون » وأراد بذلك أن يحول مجرى الحديث .

وقد تعرضنا لنقل هذه الأخبار ليعرف المتأدبون أن بلغاء هذه الأمة وأعيان البيان فيها قد طوى النسيان منهم العديد الأكثر ، والمشهورون منهم هم النزر القليل .

فشكراً للمجمع العلمى العربى على إحيائه هذا الديوان البليغ من تراثنا الأدبى ، وأضعاف هذا الشكر للسيد خليل مردم على ما بذله من روحه وأدبه فى حسن إخراج شعر ابن حيوس صحيحاً مضبوطا مشروحاً بأجمل طبع وأنفسه .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم في شهر

معهد دمنهور الديني

في زيارة الرئيس اللواء محمد نجيب لمدينة دمنهور يوم الاربعاء ٣٠ رجب وضع بيده حجر الأساس لمعهد دمنهور الديني في الأرض التي تبرع بها أعيان دمنهور لهذا الغرض. وقد خطب الرئيس في هذا الحفل فكان مما قاله: «أحب أن أقول لكم إننا نستمد هدينا من القرآن، وإن أعمالنا جميعا من وحيه. وإني لأتساءل: هل قصرنا في الأخذ بأهداب الدين؟ هل خرجنا عن حدوده؟ ألم نقرر الصلاة في المدارس؟ ألم نجعل تعليم الدين مادة أساسية؟ إذن ماذا تريدون؟ افهموا أن النظام والاتحاد والعمل هي وسيلتنا الوحيدة لطرد الإنجليز. من كان يحب بلاده فعلا فليغظم نفسه وليقلع عن الهتاف الذي لا هدف له إلا حب الظهور، وخدمة الأغراض الخاصة. إن الذين يهتفون في كل مناسبة: نريد القرآن. لاحكم إلا بالقرآن.. يسيئون إلينا وإلى أنفسهم وإلى بلادهم، لأننا لم نقصر في تطبيق القرآن. اعملوا بمبادىء القرآن إذا كنتم حقا تؤمنون بما تقولون. طبقوه على أنفسكم، وعلموا أولادكم الصلاة، وساعدوا جيرانكم، وانشروا الفضيلة. وإنني أقول لكم بملء صوتي: من رأى فينا منكرا فليواجهنا به، من رأى منا خروجا على القرآن فليحدثنا عنه. إننا نريد أن نعمل. وعلى كل من يريد أن يطبق القرآن أن يطبقه على نفسه وذويه. هذا هو الدين الصحيح».

معهد ديني بزفتى

كان الوجيه السيد كشك من أعيان زفتى رحمه الله، قد أنشأ معهداً دينيا أهليا ببلدته ووقف عليه وقفا داراً من أطيانه للإنفاق منه على هذا المعهد. وقد زار نجله الكريم الأستاذ بسيوني كشك الناظر على أوقافه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وقدم له طلباً رسميا بأن يلحق المعهد بالجامع الأزهر وتعهد بأن يقدم لإدارة الأزهر الريع الموقوف على هذا المعهد لاستمرار الإنفاق منه عليه. فعهد فضيلة الاستاذ الأكبر إلى المختصين بإتمام ذلك بحسب النظام المتبع في أمثاله.

معهد ديني بفاقوس

تبرع الأستاذ محمد فريد الطاروطي بقطعة أرض مساحتها فدان ونصف فدان في موقع جميل بمدينة فاقوس، وبألف جنيه، ليشيد عليها معهد ديني وجمعية للمحافظة على القرآن.

علم تجويد القرآن الكريم:

مرسوم بتعديل أحكام امتحانه:

صدر أمس مرسوم بتعديل بعض أحكام المرسوم الصادر في ١٢ يونيه سنة ١٩٤٥ بإنشاء قسم في كلية اللغة العربية لتدريس علم تجويد القرآن الكريم وفن القراءات ننشره فيما يلي:

المادة الأولى - يستبدل بالمادتين ٨، ١١ من المرسوم الصادر في ١٢ يونيه سنة ١٩٤٥ بإنشاء قسم في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر لتدريس علم تجويد القرآن الكريم وفن القراءات النصان الآتيان:

«مادة ٨ - يكون الامتحان في جميع مراحل سني قسم القراءات وفي امتحان الحصول على الشهادة، على دورين. ويكون الامتحان في سني النقل تحريرياً في جميع علوم السنة التي يجري فيها الامتحان، وشفوياً في حفظ القرآن الكريم ومادة القراءات وعلمي النحو والصرف في المرحلة الأولى والنحو والبلاغة في المرحلة الثانية.

ويكون الامتحان في إجازة حفظ القرآن تحريرياً في جميع العلوم، وشفوياً في القرآن الكريم حفظاً وأداء وفي التجويد والنحو.

ويكون الامتحان في إجازة حفص تحريريا في القراءات، وشهادة التخصص في القراءات تحريريا في علوم السنة النهائية عدا مادة القراءات فيكون الامتحان فيها في جميع مقرر المرحلة. ويكون الامتحان شفويا في حفظ القرآن الكريم وفي مادة القراءات في جميع مقرر المرحلة وفي النحو والصرف في الشهادة العالمية والنحو والبلاغة في شهادة التخصص.

ويكون امتحان المكفوفين شفوياً فقط في جميع ما يمتحن فيها المبصرون أسوة بالطلبة المكفوفين في المعاهد الدينية».

«مادة ١١ - لا يعيد الطالب في كل مرحلة من مرحلتي شعبة القراءات أكثر من سنتين ولا يعيد في السنة الواحدة أكثر من مرة ولشيخ الجامع الأزهر منح الطالب سنة استثنائية».

المادة الثانية - تلغى المادة العاشرة من المرسوم الصادر في ١٢ يونيه سنة ١٩٤٥ المشار إليه.

المادة الثالثة - على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية».

مكتبتنا العربية

التعليم الجامعى

يقترح الدكتور على ماهر أن يكون من أغراض التعليم الجامعى الإعداد المهنى ، وأن تترك وزارة المعارف أمر التعليم العالى كله للجامعات . وأن تختص إحدى كليتى الآداب فى جامعتى القاهرة باللغات ، وأن تختص كلية الآداب الأخرى بالفنون الأدبية كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والاجتماع . وأن تختص إحدى كليتى الهندسة بشئون الرى والعمارة والكلية الأخرى بالميكانيكا والكهرباء . وأن تختص إحدى كليتى العلوم بالرياضة والفلك والأخرى بالطبيعيات والجيولوجيا . أما العلوم المشتركة فيتولاها القسم المختص فى الكليتين معا حسب النظام الذى يوضع هذا.

وقد أخذت لجنة الأهداف والمبادىء العامة للتعليم الجامعى فى دراسة مقترحات الدكتور على ماهر هذه وما يلحقها من مقترحاته الإدارية .

أبناء الجامعات المصرية :

دل آخر إحصاء لعدد الطلبة فى الجامعات المصرية الثلاث أنها اختنقت بكثرتهم ، ففى جامعة فؤاد ٢٢ ألف طالب ، وفى جامعة ابراهيم ١٥ ألفا ، وفى جامعة الاسكندرية ٦ آلاف . ومجموعهم حوالى ٤٣ ألف طالب

وترى اللجان الفرعية للتعليم الجامعى أن كل كلية يجب أن لا يزيد عدد طلبتها عن ألف فى الحد الأعلى ليستقيم التعليم فيها ، ومعنى هذا أن عدد طلبة الجامعات الثلاث يجب أن يهبط إلى نصف عـــددها الحالى ، وألا تقبل الجامعات الثلاث من الطلبة الجدد إلا حوالى ستة آلاف فى كل عام ، أى ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طالب لكل كلية . والواقع أن الذين التحقوا بالجامعات المصرية هذا العام زاد عددهم على ١١ ألفاً ، والمنتظر أن يكون عدد المتقدمين للجامعات فى العام الآتى أكثر من ذلك . وما دام إقبال الحاصلين على الشهادات الثانوية على الدخول فى الجامعات كما هو الآن فلا مناص من إنشاء ثلاث جامعات أخرى .

نظام التعليم الثانوى :

أقر مجلس الدولة مشروع القانون الجديد الخاص بنظام التعليم الثانوى وأرسله إلى وزارة المعارف تمهيدا لعرضه على مجلس الوزراء . وهو يقوم على تقسيم التعليم الثانوى إلى مرحلتين : الأولى (المرحلة الإعدادية) ومدتها أربع سنوات والغرض منها تهيئة وسائل النمو لطلبات التلاميذ وميولهم على اختلاف أنواعها من أدبية وعلمية وعملية وفنية ، والتعرف على ما يظهر فيهم من

مكتبتنا العربية

مواهب ومميزات وميول خاصة ، حتى يمكن أن يتجهوا فى المرحلة الثانية وهى (المرحلة النهائية) ومدتها ثلاث سنوات إلى نوع الدراسة الثانوية الذى يلائمهم ، وفى هـذه المرحلة الثانوية النهائية تنطوى الدراسة على نوع من التخصيص ، وفيها يبدأ تنوع الدراسة .

وقد جعل (الدين) مادة من مواد امتحان الانتقال فى جميع الفرق بالمرحلتين . ونص فى المشروع على إعفاء غير المسلمين من دراسة القرآن الكريم ، وإذا وجد عدد كاف منهم فى الفرق ترتب لهم دروس خاصة فى الدين ،

وسيترتب على هذا النظام الجديد إلغاء امتحان شهادة الدراسة الابتدائية وامتحان شهادة الدراسة الثانوية (القسم العام) ويكتفى بامتحانين عامين يجتازهما التلميذ فى المرحلة الثانوية هما امتحان شهادة الدراسة الإعدادية وامتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة التى ستحل محل شهادة القسم الخاص . وسيكتفى فى نهاية التعليم الابتدائى بامتحان تعقده أقسام التفتيش لمن أتموا دراسة مناهج هـذا التعليم ويمنح الناجحون فيه إقرارا بذلك .

استعمار القلوب والعقول

أذاعت جريدة (المصرى) فى مقال ممتع مملوء بالتوجيه والعبر قول وزير خارجية أمريكا فى خطاب له لم يذع فى بلاد الشرق الأوسط .

« يجب أن نفهم نحن ـ الأمريكيين ـ أن كل مشاريعنا السياسية والعسكرية فى الشرق الأوسط ، ستصبح بلا جدوى ، ما لم يكن لنا (إشراف كامل) على ثقافة هذا الجزء الحيوى من العالم .

« إن (إشرافنا) على ثقافة الشرق الأوسط يعتبر أمراً جوهرياً بالنسبة لمستقبل مشروعاتنا العسكرية والسياسية والاقتصادية ! . .

احصاءات ثقافية

نشرت اليونسكو كتيبا فى ٦٠ صفحة تضمن إحصاءات ثقافية لمختلف الأقطار ، ومما جاء فيه أن فنلندا أقل بلاد الأرض أمية لأن نسبة التعليم فيها ٩٩ فى المائة .

وانجلترا أكثر البلاد خزائن كتب ، فقد بلغ عدد دور الكتب فيها ٢٣٧٥٩ مكتبة . وبلغ عدد الكتب التى نشرت فيها سنة ١٩٥٠ نحو ١٧٠٧٢ مؤلفا ، وفى الولايات المتحدة ١١٠٢٢ مؤلفا ، وفى فرنسا ٩٩٩٣ مؤلفا . وفى انجلترا توزع الصحف اليومية بنسبة ٥٩٨ نسخة لكل ألف ساكن ، وفى الولايات المتحدة يستهلك من ورق الصحف ٣٦ كيلو غراما لكل فرد فى السنة .

اعتماد للبعوث الاسلامية

قرر مجلس الوزراء فتح اعتماد إضافى بمقدار ٥٧٫٥٠٠ جنيه فى ميزانية رياسة مجلس الوزراء للسنة المالية ١٩٥٢ - ١٩٥٣ زيادة على اعتماد الـ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه المخصص لطلاب البعوث الأزهرية ، على أن يؤخذ هذا الاعتماد من وفور مخصصات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

إصلاح الحرم النبوى .

عاد وفد الجامعة العربية من زيارة المملكة العربية السعودية برياسة أمين الجامعة الأستاذ عبد الخالق حسونه . وقد قال الأستاذ عبد الخالق عقب وصوله إلى مصر : إن العمل سيبدأ قريباً فى إصلاح وبناء الحرم النبوى الشريف ، وإن المسئولين فى المملكة السعودية أخذوا فى إعداد الوسائل للبدء فى هذه الإصلاحات فوراً .

سكة الحجاز الحديدية :

زار الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية لبنان للبحث فى وسائل التقارب بين الحكومات العربية ضمن نطاق الجامعة . وعند انتهائه من زيارة لبنان قام بمثل هذه الزيارة لدمشق .

وقد انتهزت الغرف التجارية والزراعية والصناعية فى سوريا هذه الفرصة فعقدت اجتماعا قررت فيه مفاتحة الأمير سعود فى مسألة إعادة تسيير الخط الحديدى الحجازى لربط سوريا بالمملكة السعوديه وتوثيق التبادل بينهما .

وهذه الأمنية ما زالت تتردد وتتجدد منذ بضع وثلاثين سنة ، ونرى أن الوقت الحاضر أجدر الأوقات بالاستجابة لتحقيقها .

المحمل

لما كان موكب الحاج يسافر برا على الجمال أيام الدولة العثمانية ، كان من لوازم ذلك أن يصحبه حرس عسكرى ، وجرت العادة أن يكون سفر الموكب بحرسه فى موعد واحد وعودته فى موعد واحد كذلك ، فكان لسفره حفلة وداع ولعودته حفلة استقبال ، واتخذوا فى مصر والشام محملين مزركشين يرون أنهما من تمام مظاهر هذا الموكب . ومعلوم أن ذلك ليس له أصل فى الدين ، وإذا توهم العامة أن له علاقة بالدين ، كان ذلك منهم تزيداً فى الدين يأثمون به . لأن الزيادة فى الدين كالنقص منه . زد على ذلك أن وسائل المواصلات غيرت الأوضاع كلها فصار الحجاج يسافرون ويعودون فى أوقات متتالية لا فى وقت واحد ، وكان المحمل المصرى قبل سنة ١٣٤٤ (١٩٢٥) يسافر بالفعل إلى الأراضى الحجازية باعتباره جزءاً من القوات التى ترافق الحجاج حينما كانوا جميعاً يتنقلون على الإبل من جدة إلى

مكتبتنا العربية

مكة ومنها إلى المدينة ، فلما استتب الأمن في الحجاز بما لا نظير له وصار انتقال الحجاج بالسيارات في الأكثر الغالب ، انقطع سفر المحمل ، ومع ذلك بقيت مظاهر الاحتفال بوداعه واستقباله . ومن العجيب أن تحتفل الدولة والأمة باستقبال محمل لم يرسل فكيف يعود !

وبما أن مصر هي التي تتولى نسج كسوة الكعبة المشرفة ، وتقوم بإرسالها في كل عام ، فقد اتجه الرأي إلى إلغاء حفلة وداع المحمل واستقباله ، والاقتصار على الاحتفال بعرض الكسوة إيذاناً بالحج في أول الموسم ونهايته عملا بالآية الشريفة « وأذن في الناس بالحج » . ولعل الموسم المقبل سيكون أول مواسم الحج في مصر يلغى فيه عرض المحمل والاحتفال بوداعه واستقباله .

قبة المسجد الأقصى

تبين للمهندسين المصريين الذين أوفدتهم الحكومة المصرية إلى القدس لدراسة حالة قبة المسجد الأقصى أن المياه المتسللة من السقوف إلى جدران القبة في سنين متطاولة قد أثرت فيها حتى أدى ذلك الإهمال إلى ضرورة إحداث إصلاحات قد تبلغ تكاليفها ٤٢٠ ألف دينار أردني .

جامع جديد في لندن

كان المسلمون المقيمون في لندن يتمنون دائماً لو يقام لهم جامع يؤدون فيه الفرائض لأن من غير اللائق أن لا يوجد في تلك المدينة الكبيرة إلا جامع « ووكنج » الذي يقوم عليه القاديانيون ، وأخيراً تقرر بناء جامع إسلامي في المركز الثقافي الإسلامي بقلب مدينة لندن وتألفت لهذا المشروع لجنة أوصياء وتبرع كذلك نظام حيدر أباد السابق بسبعين ألف جنيه ، كما تبرعت الحكومة المصرية بعشرين ألف جنيه ، وستتصل اللجنة الفرعية التي يرأسها المندوب السامي للباكستان في لندن بالحكومات الإسلامية وكبار الزعماء المسلمين للحصول على التبرعات اللازمة لإتمام هذا المشروع .

ولايات متحدة عربية

أدلى الرئيس اللواء محمد نجيب بتصريح في افتتاح مؤتمر الصحافة العربية أعلن فيه أنه يود من صميم قلبه أن يرى الدول العربية قد صارت « ولايات عربية متحدة » .

وقد سئل الأستاذ أحمد الشقيري الأمين المساعد للجامعة العربية عن رأيه في هذا التصريح ، وعن علاقة هذه الفكرة بميثاق الجامعة العربية فقال .

ليس في ميثاق الجامعة العربية ما يمنع تحقيق هذه الفكرة الجليلة ، بل إن هذا الميثاق يدعو إلى كل ما يزيد روابط العرب رسوخا وتمكينا . ثم إن الجامعة العربية

مكتبتنا العربية

ليست نهاية ، ولكنها بداية ، ونحن نعلم أن هذا الرأى الموفق الذى أبداه رجل مصر الأول هو تعبير صادق عن أمانى الشعوب العربية . وأرجو أن يأتى ذلك اليوم الذى تتهيأ فيه الاسباب والظروف لتحقيق هذه الفكرة النبيلة ، وسواء انتهت علاقة العرب فيما بينهم إلى « وحدة » أو « اتحاد » أو أى نظام آخر فإن المهم أن نصدر فى أمورنا عن رأى واحد إلى هدف واحد .

نواة لمؤسسة إسلامية كبرى :

علقت جريدة (باكستان تايمز) التى تصدر فى كراتشى على تصريح الرئيس اللواء محمد نجيب فى مؤتمر الصحافة بشأن أمنية « الولايات المتحدة العربية » فقالت : « إن أمل اللواء الرئيس سيلقى اهتماماً كبيراً فى جميع أنحاء العالم العربى . ولا شك أن أى اتحاد عربى سيكون نواة لمؤسسة إسلامية كبرى تقرب بين الحكومات الإسلامية ، وتضع لها سيادة موحدة إزاء المشاكل المشتركة . ويجب أن يقوم مثل هذا التعاون على أسس علمية إيجابية ، لا على أسس عاطفية » .

جامعة الدول العربية

نعمة ... ضائعة

فى قطعة مما ينشر يومياً فى (الأهرام) بعنوان « سلاح الغد » وبتوقيع « صاروخ » قرأنا هذه الفقرات يوم ٢٤ رجب الماضى عن جامعة الدول العربية :

« هذه الجامعة تعد فى الواقع إحدى المنظمات الإقليمية الرئيسية فى العالم . وللأسف الشديد فإن قيمة أو قوة هذه المنظمة تكاد تكون مجهولة تماماً من القائمين بأمرها أو الاوصياء عليها ، فى حين أنها تستطيع أن تكون بالفعل أداة إيجابية تجذب إليها الدنيا بمن فيها وما عليها » .

« من العجيب أن تدرك كل من الكتلتين المارد تين - فى الشرق والغرب - قوة أو خطورة هذه المنظمة ومدى الطاقة الكامنة فيها ، فتعمل كل من هاتين القوتين على تكييف أمورها وسياستها على أساس وجود هذه المنظمة « الناعسة » أو « النائمة » والتى لو استيقظت لاستطاعت أن تفرض على الدنيا ما تشاء ، ولكانت هى القوة التى ترجح أى جانب تتجه إليه » .

« إننى أكاد أذوب حياء وضعفاً من أن أكون أنا ممن يوجهون الجامعة العربية وهى التى تضم من الأقطاب والمحترفين لتجارة السياسة والدبلوماسية ما يزيد عن حاجة الدنيا كلها » .

أعظم معارك التحرير

يقول المسئولون البريطانيون فى نيروبى - سواء منهم الرسميون وغير الرسميين - إن المعركة التى تدور رحاها الآن بين قبائل

مكتبتنا العربية

ماو ماو وقوات الاستعمار البريطانى قد تصبح أعظم معارك نصف القرن الحالى . وهم يرون أن ثوار ماو ماو فى كينيا ليسوا سوى رمز للثورة التى تجتاح الآن القارة الإفريقية ، وأنها قد تسبب مضايقات ومتاعب لاحد لها فى القارة كلها من أدناها إلى أقصاها . ففى كل مكان فى القارة (من السودان شمالا إلى جنوب أفريقيا) يسمع المرء قصة واحدة لا تتغير وهى قصة حرب المبادىء التى لايخبو لها أوار .

إن سكان أفريقيا الشرقية ينظرون إلى ما حصل عليه سكان أفريقيا الغربية (ليبريا وساحل الذهب وروديسيا الجنوبية) فتدور رءوسهم غضباً وإصراراً على أن يظفروا بحقهم فى الحرية والحياة . ولكن الغربيين ينكرون عليهم هذا الحق بحجة عدم استعدادهم .

خطيب سيف ومنبر

هكذا كان أسلافنا ، يرقى أعواد المنابر فى مساجدهم من يقودهم فى حروبهم ومن يوجههم فى مجتمعهم وكيانهم . وفى يوم الجمعة ٢٦ من رجب ارتقى أعواد المنبر فى مسجد الحنفى بحى السيدة زينب البكباشى أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة فألقى منه خطبة الجمعة ، وكانت مفاجأة مدهشة للمصلين إذ رأوا فى القائد خطيباً من الطراز الأول ، وكانت الخطبة شيئاً جديداً لاعهد لهم بمثله لأنها صادرة عن القلب وكان يخاطب بها القلوب ، ففسر التحرير بأنه لا يقتصر على إجلاء الغاصب ، ولا على نفى الطاغية ، بل هو ينصرف أولا وقبل كل شىء إلى تحرير النفوس من أنانياتها وما خلفته فيها الأحوال السابقة من أثرة واستئثار وسائر ألوان الضعف ، إلى أن ينتصر كل مواطن على نفسه بقوة إيمانه وتوجيه دينه ، فيتمكن من إخراج إبليس وجنوده من النفس المسلمة ويصبح كل واحد منا ولياً من أولياء الحق ورجلا من رجال الخير ، وبذلك نعود أمة صالحة ، وبذلك نكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد لنا الله أن نكون .

تحرير سوريا الاقتصادى

من ذيول الانتداب الفرنسى الذى رفع الله كابوسه عن البلاد السورية بقاء النقد السورى مكبلا باتفاقية البنك الفرنسى التى وضعت فى أيام الانتداب وتمتد مدتها إحدى عشرة سنة أخرى (أى إلى سنة ١٩٦٤) ولكن سوريا خطت فى هذا العام خطوة جريئة للتحرر من هذا الاحتلال الاقتصادى ، فسنت قانوناً لإنشاء بنك سورى أهلى تنتقل إليه مهمة إصدار أوراق النقد المالية الرسمية . وهى خطوة لا تقل عن قرار تأميم بترول عبادان فى إيران ، بل إن السيد سعيد الزعيم وزير

مكتبتنا العربية

المالية السورية يقول إن المشروع الجديد بإنشاء البنك الأهلى السورى يعادل فى أهميته جلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان عام سنة ١٩٤٦ ، وقد نشرت الصحف صورة الليرة السورية الجديدة وهى فى شكلها ـ كما هى فى حقيقتها ـ عربية محضة لم تشب بأى شائبة من اللغة الاجنبية أو حروفها وأرقامها .

مطامع

فى برقية من بغداد أذاعتها وكالة الانباء العربية خبر عجيب عن تفاصيل تلقتها جريدة (الحارس) البغدادية جاء فيها أن قوات عسكرية إيرانية أعدت سراً لغزو جزر البحرين التى يحكمها الامراء آل خليفة منذ دهر طويل .

وتتوالى الاخبار من قبل ذلك بأن هجرة منظمة يقوم بها بعض الإيرانيين من بلادهم إلى البحرين والكويت مجتهدين فى أن تكون لهم جاليات أكثر عدداً فى هذه البلاد العربية من الأزل ، حتى تكون هذه الجاليات الصغيرة حجة تبرر هذه المطامع !

ترى أليس فى أحوال إيران ما يشغلها عن مثل هذه المساعى التى تضر ولا تنفع ؟ !

تركيا فى نظر الأمريكيين

نقلت مجلة (التحرير) قول الكاتب الامريكى المعروف (جون جنتر) : « لا يمكن ولو عن طريق الخيال أن يطلق على تركيا دولة ديمقراطية بالمعنى الغربى المعروف .

ولسنا نريد أن نخدع أنفسنا بمثل هذا الكلام . والواقع أننا لا ننفق أموالنا فى تركيا لنساهم فى دعم ديمقراطيتها ، ولكننا ننفق أموالنا هناك لنستعملها كسلاح حربى عام ، وذلك بمساعدة الأتراك على الاستعداد لمواجهة أى خطر يحتمل أن تسببه روسيا ، إننا لا نساعد الأتراك ، ولكننا ننفذ فى تركيا جزءاً من برنامجنا الدولى . وليس الأتراك أكثر من وسيلة فى نضالنا الدولى مع الاتحاد السوفيتى . ليكن هذا واضحاً من الآن ، ولنواجهه بصراحة » .

سماحة وبغى

تلقت وزارة الشئون الاجتماعية من حكمدار الإسكندرية تقريراً عن جمعية تبشيرية استقدمت ثلاثة من الأجانب لإلقاء محاضرات دينية وتوزيع نسخ من كتاب دينى فيه بغى على الإسلام وافتراء عليه . وقد طلبت إدارة الهجرة من هؤلاء المحاضرين أن يغادروا البلاد ، ورفضت تجديد مدة إقامتهم . ولما تلقت وزارة الشئون الاجتماعية تقرير حكمدار الإسكندرية أخذت فى دراسة أغراض الجمعية التى استقدمت هؤلاء المحاضرين الثلاثة وما فى أعمالها من تعارض مع قانون الجمعيات .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الثامن ـــ المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضـــوع	بقـــلم
٩٠٥	الامانة الثانية	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٩١٢	الشرق والغرب وهل يجتمعان	« محمد عرفة مدير المجلة . . . .
٩١٨	نفحات القرآن : البيت العتيق	« عبد اللطيف محمد السبكى . . .
٩٢٥	السنة : التطهير فى الاسلام	« طه محمد الساكت . . . . .
٩٣١	التقليد والمحاكاة فى نهضتنا الحاضرة . . .	« الأكبر شيخ الجامع الازهر . .
٩٣٤	أزمة الفقه الاسلامى	« الدكتور محمد يوسف موسى . .
٩٣٩	لغويات	« محمد على النجار . . . . .
٩٤٤	حديث القرآن عن الغزو	« أحمد الشرباصى . . . . .
٩٥٠	ديوان مجد الاسلام	« أحمد محرم رحمه الله . . . .
٩٥٣	إمام	« محمود الدسواوى . . . . .
٩٥٩	حقوق الانسان فى شريعة الاسلام . . .	« محمد فتحى محمد عثمان . . . .
٩٦٦	هل يعيد التاريخ نفسه	« محمود فياض . . . . .
٩٧٠	الازهر والثورة العرابية	« أحمد عز الدين خلف الله . . .
٩٧٥	الغزو الفكرى للبلاد الاسلامية	« محمد صبرى عابدين . . . . .
٩٨٠	آراء وأحاديث	« م . ع . . . . .
٩٨٤	الامانة الأولى	« كمال أحمد عون . . . . .
٩٨٨	قصة كفاح مسلمى الفلبين	« عمر طلعت زهران . . . .
٩٩٣	النقد الادبى وتاريخه	« عبد الغنى اسماعيل . . . . .
٩٩٦	الفتاوى	لجنة الفتوى
٩٩٩	بين الجد واللعب	الأستاذ « السيد » . . . . .
١٠٠٤	البلاغة والتجديد	« محمد عبد المنعم خفاجى . . . .
١٠٠٧	الفرض العلمى	« سعيد زايد . . . . .
١٠١١	العلم وعلاقته بالدين	« الدكتور محمد غلاب . . . .
١٠١٦	الكتب	قلم التحرير
١٠٢٣	الآدب والعلوم فى شهر	«
١٠٢٧	أنباء العالم الاسلامى	«

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر في تونس

تطلب مجلة الأزهر بتونس من حضرة [illegible] صاحب
محلات دار الكتب العربية الشرقية بتونس شارع باب المنارة
رقم ١٥ مج باب سويقه — ١٢٢